لمحة عن

الحلي الذهبية القديمة وروائعها

في المتحف الوطني بدمشق

الأستاذ بشير زهدي

محافظ آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية
في المتحف الوطني بدمشق

إن أعمال الحفر والتنقيب التي جرت في مناطق مختلفة من أرض وطننا ـ وأخص بالذكر منها قرى طفس وتسيل ، وفيق وخسفين ، والزوية وتل أم حوران ، وغوطة دمشق وتل أبي صابون قرب حمص ، وحماه وتل نبي مند ، وجبلة ويحمور ، ورأس شمرا وتدمر ، والرقة وماري ... الخ ـ كافأت المنقبين بمجموعات هامة من الحلي الذهبية القديمة حفظت في المتاحف الوطنية ، ثم أخذت مجموعات الحلي الذهبية ترد بكثرة إلى المتحف الوطني بدمشق بفضل نشاط أعمال الحفر والتنقيب ، ووعي المواطنين الكرام ، وحرصهم على حفظ آثار بلادهم في متحفهم الوطني ، حتى بلغ عدد قطع الحلي الذهبية القديمة المحفوظة في (فرع آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية) وحده (٢٤٦٨) قطعة ذهبية مما زاد من أهمية هذه المجموعات الثمينة وجعلها جديرة بأن يخصص لها جناح مستقل في المتحف الوطني بدمشق ، لتعرض فيه ، كي يطلع على معروضاته الثمينة العلماء المختصون ، وينعم برؤيتها الزائرون العاديون من مواطنين وسائحين .

وهكذا فإننا نستنتج بأنه رغم الغزوات التترية ، والحملات الهمجية ، والحروب المتوالية التي شهدتها بلادنا ، فان أرض وطننا قد احتفظت بهذه المجموعات الذهبية في باطنها ، وكتمت للأجيال الصاعدة أسرارها ، فأخفتها عن عيون اللصوص والغزاة حتى يوم اكتشافها من قبل المسؤولين المختصين أو المواطنين الصالحين .

وإن أهمية هذه المجموعات الثمينة دفعتني إلى دراستها للتعريف بها ، وإبراز جانب هام من رسالة بلادنا الحضارية عبر العصور ، وحث جيلنا العربي المعاصر على العمل والإبداع لنكون جديرين بأولئك الآباء والأجداد ، وموضع فخر الأبناء والأحفاد ، سيما ونحن في عصر تشرق فيه على وطننا العربي الكبير شمس حضارة حديثة تشمل مختلف النواحي والميادين .

وإن قلة المراجع العلمية المتعلقة بالحلي الذهبية ، ومختلف الأسباب التي لا مجال لذكرها ، كل ذلك مما يجعلني أرجو القارىء أن يعتبر هذه الـ (لمحة عن الحلي الذهبية القديمة وروائعها في المتحف الوطني بدمشق) بمثابة محاولة متواضعة .

أهمية دراسة الحلي الذهبية القديمة :

لدراسة الحلي أهمية كبيرة لأنها متصلة بصميم تطور حياتنا الإجتماعية والإقتصادية والفنية ، كما انها بمثابة دراسة لمفاهيم الإنسان الجمالية ، وذوقه الفني ، ورقيه الصناعي ، ونشاطه التجاري ، وتاريخه الإجتماعي ، أضف إلى ذلك صلتها بالخبرة المهنية ، وعلاقتها بوظيفة الفن في الادخار والتوفير .

١ً ـ الحلي والعامل الإقتصادي : إن ازدهار صناعة الحلي في مجتمع ما يتأثر الى حد كبير بمستوى الحياة الاقتصادية لذلك المجتمع وإذا كانت عادة التجمل بالحلي منتشرة في كل المجتمعات ، فإن المجتمع الفقير ليس في مقدوره اقتناء الحلي الثمينة ، كما ان أفراد المجتمع الثري يبالغون في طلباتهم لأنهم متعطشون إلى الترف والبذخ باستمرار ، حريصون على التظاهر والتفاخر على الدوام . وقد يفرضون أذواقهم على الصائغين ، ويحثونهم على التجديد والابتكار ، فيلبي الصائغون طلباتهم ، ويبدعون لهم الحلي الجميلة التي تنال رضاهم ، فيتهافتون على شرائها ، لأنهم يعتبرونها عنصر تفاخر ، وثروة ثابتة ، ذات قيمة مادية في الأزمات المالية ، مما يدعو الأفراد الى التمسك بها ، والحرص عليها ، والمبادلة بها ، وذلك لسهولة حملها ونقلها ، فهي قطع نادر ، وبضاعة رائجة ، وسلعة سهلة الحمل والتداول . وهذا مما يفسر لنا تشابه بعض الحلي الذهبية المكتشفة

في بعض بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ، وبطء تطور أشكالها ، وقلة تبدل انواعها عبر العصور ، لأن أهمية قيمتها المادية تحفظ لها مظهرها الشكلي لفترات طويلة من الزمن .

٢ ـ الحلي والعامل الإجتماعي : تخضع الحلي في أنواعها واشكالها واستخدامها للعادات المتوارثة ، والتقاليد الإجتماعية ، والأعراف المحلية ، كما انها ـ بدورها ـ تؤثر الى حد كبير في نشر عادات جديدة ، وأذواق مبتكرة تتوارثها الأجيال وتضيفها الى تراثها القديم وتاريخها الإجتماعي ، لأن لكل مجتمع أنواعاً من الحلي قد تختلف في أشكالها عن حلي المجتمعات الأخرى ، فالحزام المنتشر في البادية وبعض الأرياف ليس منتشراً في كل المدن ، بل أن بعض سيدات المدن قد يبتعدن عن التزين به ، كما ان الحلي الثقيلة التي تزين سواعد وأرجل وأصابع وآذان وأنوف نساء بعض البيئات الإجتماعية لا تلقي رواجاً مماثلاً في البيئات الأخرى . مما يجعل انتشار نوع ما من الحلي في مجتمع ما مرتبطاً بعادات ذلك المجتمع ، ومدى تقبل أفراده له ، وإقبالهم عليه ، ومن هذه العادات نذكر على سبيل المثال عادة تجمل الآشوريين ـ نساء ورجالاً ـ بالاقراط ، وتزيين الإغريقية ما فوق ركبتها بسوار Periscelis [١] ووضع الرومان في عنق أطفالهم طلسما ذهبياً Bulla [٢] ، وتختمهم في عدد من أصابع أيديهم ، وابتهاج الشرقية بتزيين ساعدها كله بمجموعة من الأساور [٣] ، وتزويد الموتى ـ في مصر وبلاد ما بين النهرين ـ بمجموعة من الحلي الجنازية ، وتجهيز الاغريق والرومان موتاهم بحلي جنازية منها صورة (ديونيزوس) يبدو متمايلاً إشارة إلى الغيبوبة الخالدة للسعداء في الدار الآخرة . ولا بد أن نشير إلى أنه ليس هناك من مجتمع مغلق ، لأن المجتمعات مهما تباينت عاداتها فإنها تقتبس من بعضها ، وتضيف ما تقتبسه إلى تراثها الفني والصناعي والاجتماعي ، كما ان ازدهار الحلي يتعلق الى حد كبير بالحياة الطبقية للمجتمع ، إذ أن الحلي الذهبية تكثر لدى الطبقة السائدة أو المحتكرة للقوى الإقتصادية ، أضف إلى ذلك أن دور المرأة في المجتمع له تأثير كبير على ازدهار الحلي ، والتفنن في إبداعها وانتشارها ، فنساء الكادحين لا يتزين بحلي ذهبية ثمينة مماثلة لحلي نساء مجتمع تكثر فيه الصالونات والمنتديات . من كل ما تقدم نرى أن في دراسة الحلي دراسة لعادات المجتمع وتقاليده ، والصلات الإنسانية التي بين أفراده .

---

(١) انظر الصورة ذات الرقم ٥٥٧٣ في :
Saglio : Dictionnaire Des Antiquites T. IV P. 397 Fig 5573 .

(٢) Lavedan : Dict. Illust. De la Mythologie. P. 181 .

(٣) انظر الصورة المنشورة في كتاب :
R. Mouterde et J. Lauffray : Beyrouth Ville Romaine Histoire et Monuments P. 34, Fig 21.

٣ ــ الحلي وعامل العقيدة : كان القدماء يعتقدون أن للذهب مفعولاً عجيباً من شأنه أن يعيد الشباب ويطيل الحياة [١] ، ويكثر النسل ، وانه يضفي على من يحمله أو يتحلى به صفات الصحة ، ونعمة الخلود ، وانه المعدن الذي لا يتغير فهو المعدن الخـــالد [٢] ، معدن الآلهة ، وانه واسطة تبجيل ووسيلة تأليه ، وسبيل تقرب ، وهذا ما يفسر عـادة تقديم الذهب إلى المعابد ، وتزيين المذابح به ، وتزويد الموتى به إلى درجة غدت المقابر مستودعاً غنياً بالكنوز الثمينة [٣] ، وغدا الترف المخصص للمقابر يفوق ما كان يتمتع به الأحياء . ويعتبر قانون الألواح الإثنى عشر في مقدمة القوانين التي منعت تزويد الموتى بالزينة الذهبية [٤] . ولا شك أن الاعتقاد بأهمية الحلي ودورها في حماية حاملها جعلها بمثابة تميمة ، أما الإسلام فإذا كان قد سمح للنساء بالتزين بالحلي الذهبية ، والتجمل بها ، فإنه حرم على الرجال التختم بخاتم ما من الذهب مما يفرض على الصائغ مراعاة ذلك ، فنتج عن ذلك استمرار الصائغ على إبداع الحلي الذهبية للنساء فقط .

٤ ــ الحلي والذوق الفني : تعتبر الحلي مرآة ينعكس عليها المفهوم الجمالي ، وتبدو فيهـا الصور البديعية ، فهي مظهر من مظاهر الذوق الفني ، ونتيجة من نتائج تطوره . ففي دراسة الحلي دراسة لرغبة الصائغ الفنان في الإبتكار والتجديد ، والإبتعـــاد عن التكرار والتقليد ، والميل إلى اقتباس الأشكال الجميلة من ينابيع الإبداع وعالم الجمال ، معتمداً في تفننه على أذواق زبائنه ، ومفهومهم الجمالي ، ومراعياً متطلباتهم الفنية ، وحاجاتهم الإجتماعية ، ومناسبـــاتهم الروحية ، وإمكانياتهم المادية .

٥ ــ الحلي والصناعة : إن إبداع الحلي يتطلب ذوقاً فنياً ومهارة صناعية ، وخبرة واسعة في ميادين عديدة تتعلق بالكيمياء والصناعة والفن ، وبتعبير آخر يتطلب موهبة في الإبتكار ، وقدرة على الابداع ، وخبرة في العمل ، ودقة في التنفيذ ، ممـــا يجعل إبداع الحلي من أهم الفنون الصناعية ، وأرقى الصناعات الفنية ، تتميز بمظهرها البديعي ، وطابعها الفني ، وتقنيتها المهنية .

(١) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة (المطبعة العصرية) ص (٤٤ ــ ٤٥) .

(٢) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة (المطبعة العصرية) ص ٤٤ .

(٣) Saglio : Dictionnaire des antiquités T. I. P. 574 .

(٤) Saglio : Dictionnaire des antiquités P 574 .

١ ـ واجهة الأطواق الذهبية في جناح الحلي

٢ ـ واجهة الأطواق الذهبية في جناح الحلي

١ ـ واجهة الأقراط الذهبية في جناح الحلي

٢ ـ واجهة الأقراط الذهبية في جناح الحلي

١ ـ واجهة الاقراط الذهبية في جناح الحلي

٢ ـ واجهة الأساور الذهبية في جناح الحلي

اللوح الرابع

واجهة الخواتم الذهبية والأحجار الكريمة في جناح الحلي

٢ – واجهة المشابك الذهبية في جناح الحلي

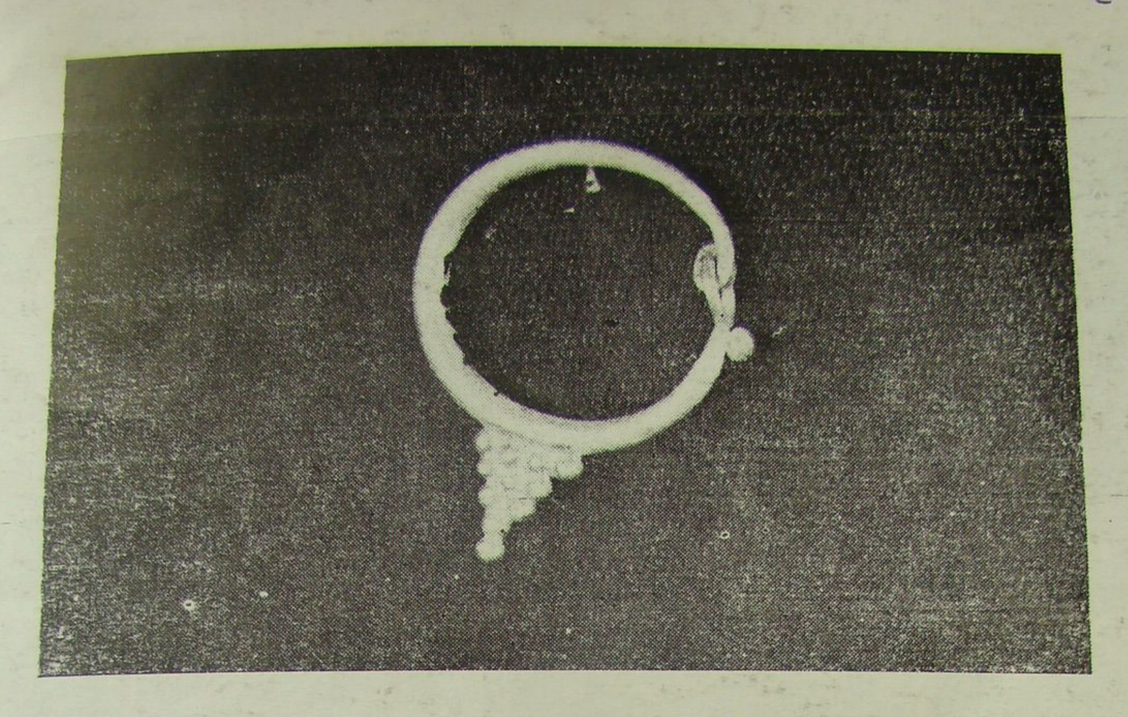
١ ـ واجهة الوريقات الذهبية في جناح ا



٣ ـ قناع ذهبي مكتشف في تل أبي صابون (قرب



٢ ـ وريقات ذهبية جنازية مكتشفة في تل أبي الصابون



١ ـ قرط ذهبي مكتشف في حوران من القرن الثالث الميلادي



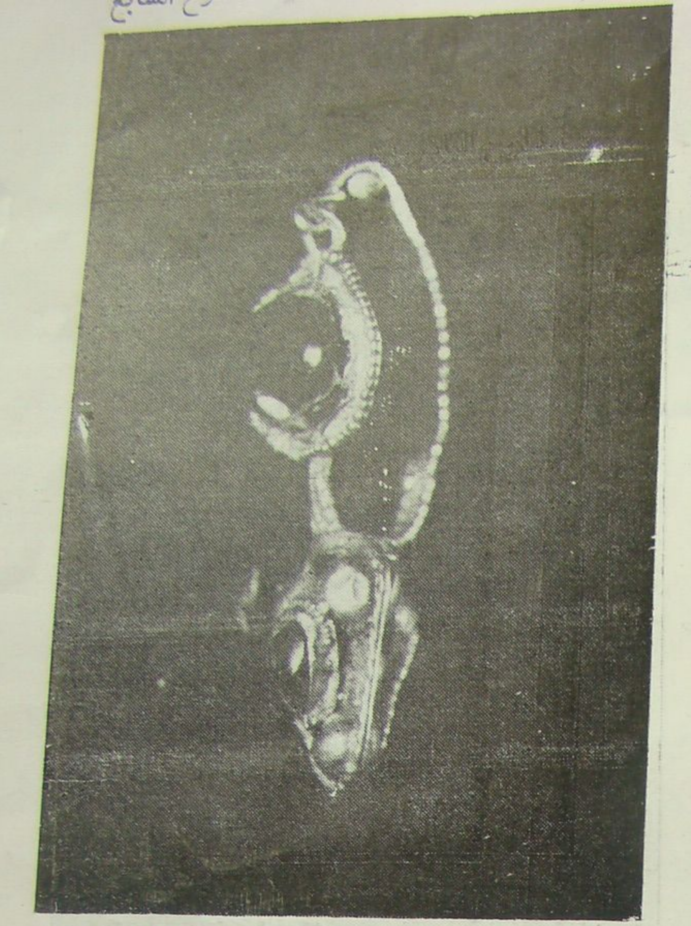
٢ ـ قرط ذهبي مرصع بحجر كريم ومزين بكرات ذهبية



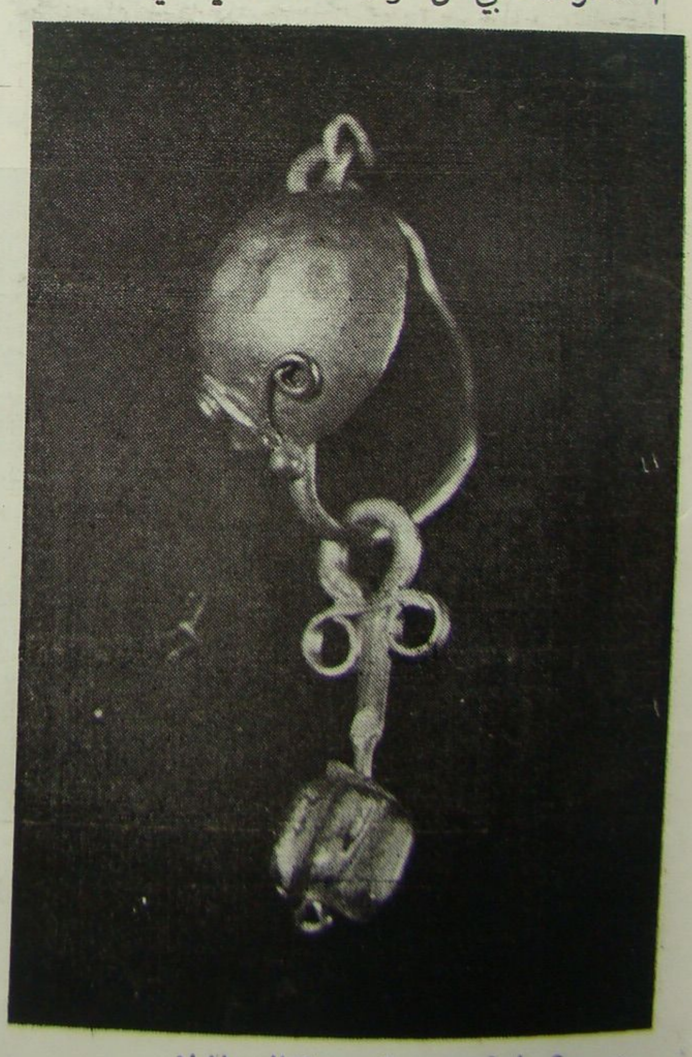
٣ ـ قرط ذهبي من القرن السادس (؟) الميلادي



١ – قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي



٢ – قرط ذهبي من القرط الثالث الميلادي



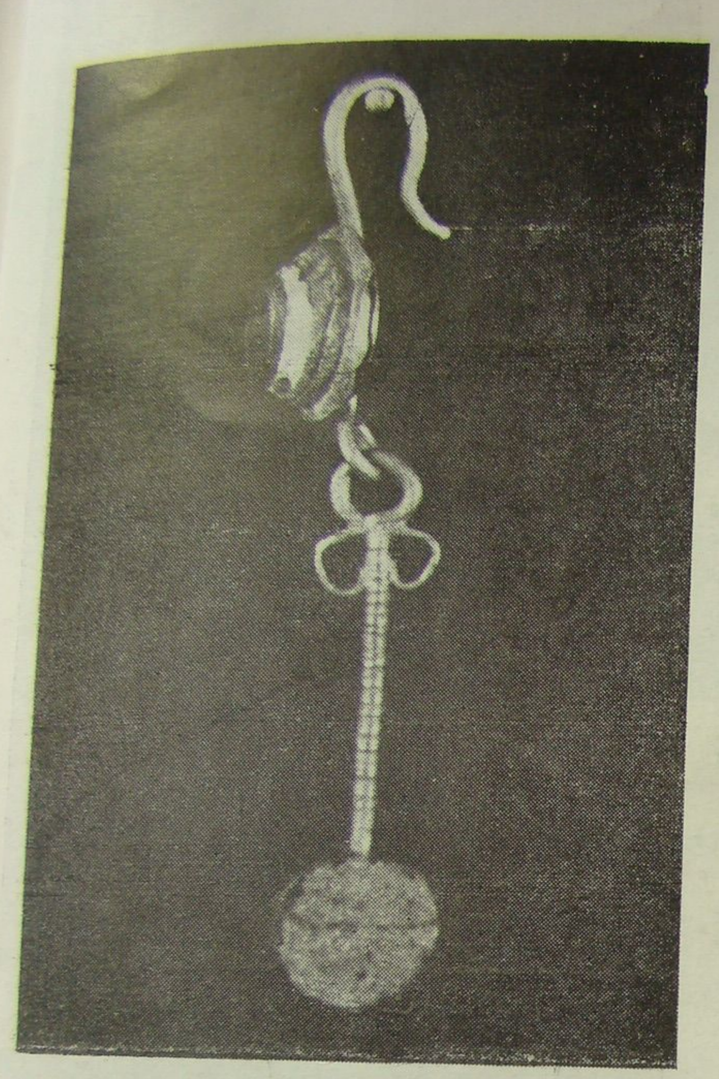
٣ – قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي



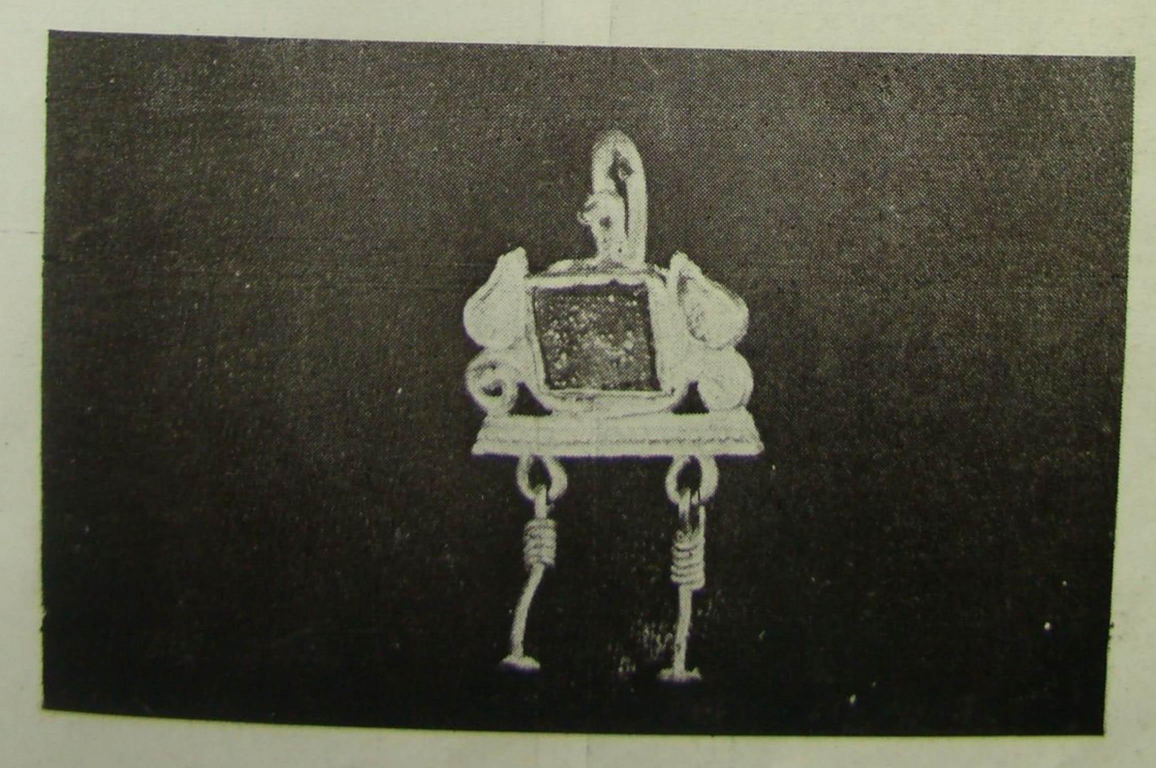
٤ – قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي



١ ــ قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي



٢ ــ قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي



٣ ــ قرط ذهبي من القرن الثالث الميلادي

٦ – الحلي ووظيفة الفن في الإدخار والتوفير : تعتبر الحلي خير دليل على جدية العمل الفني ، إذ أنه يهدف إلى الإبداع لخلق قيمة فنية تضفي على العمل الجمال وتمنحه نعمة الخلود ، فتتوارث الأجيال هذه المصنوعات الفنية كجزء من تراثها الذي تفخر به وتعتز . وهكذا لئن فني الذين أبدعوا الحلي ، وزال أصحابها من عالم وجودنا ، فإن الحلي قد بقيت – كأي عمل فني – خير دليل على خلود الفن ، وأقوى برهان على وظيفته في التوفير والإدخار ، لأن فيه حصيلة قوى أفراد المجتمع الإبداعية والمادية والروحية .

لمحة تاريخية عن التزين بالحلي :

لو استعرضنا تاريخ الحضارات لوجدنا أن رغبة الإنسان في التزين بالحلي ، والتجمل بها ، تعتبر من أقوى الرغبات تأثيراً ، وأقدمها عهداً ، وأكثرها استمراراً ، وأوسعها انتشاراً ، إذ يستوي في ذلك – إلى حد كبير – البدائيون والمتمدينون ، والقدماء والمعاصرون . لقد تسابق البشر إلى اقتناء الحلي ، وتنافسوا في سبيل الحصول عليها ، وأخذوا يشكلون منها مجموعات تخيلوها مصدر سعادة لهم ، وعنصر غنىً لأبنائهم .

ولم يتفق الباحثون والمختصون على تاريخ بداية ظهور الحلي الذهبية ، وموطنها الأول . فهناك من ينسب ذلك إلى مصر معتمداً في رأيه على المصنوعات الذهبية القديمة الهامة المكتشفة فيها ، وهناك من يرجع الفضل في ذلك إلى الكريتيين ولا سيما الميسينيين ، وهناك أيضاً من يعتبر للفنيقيين الفضل في استخدام الذهب وصناعة الحلي الذهبية .

١ – المصريون القدماء وفن الصياغة : اشتهرت مصر بغناها وذهبها إلى درجة جعلت الملك الميتاني (توشراتا) (١) يقول للمصريين : (إن الذهب في مصر كالتراب في كثرته) ولا سيما في عهد الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وربما كان اكتشاف المصريين الذهب قد حدث صدفة في إحدى مناطق سواحل البحر الأحمر ، فاستحسنوا لونه ، وتذوقوا بريقه ، وأعجبوا بصفاته وخصائصه فأخذوا يحرصون عليه ، ويبحثون عنه ، وينقبون من أجله ، وذلك لاستخدامه في صياغة الحلي ، ووضعه في توابيت الملوك . وقد تفننوا في صياغته حتى استطاعوا أن يجعلوا من كتله

(١) حضارة مصر والشرق القديم : تأليف الدكاترة ابراهيم رزقانة ، محمد أنور شكري ص ٢٠١ .

أسلاكا دقيقة ، وصفائح [١] رقيقة، مستخدمين في ذلك الأدوات البسيطة ، والأساليب البدائية ، ولكنهم كانوا يتميزون بالخبرة المهنية ، والذوق الفني ، مما جعل الحلي الذهبية المصرية القديمة تحتل مكاناً بارزاً بين الفنون الصناعية والصناعات الفنية التي اشتهرت بها مصر . ويكفي لبيان أهمية الذهب والحلي الذهبية عند المصريين أن نذكر اعتبار الفراعنة أنفسهم أبناء الشمس (رع) ، وتخيلهم ان سائل الذهب الذي ورثوه عن (رع) يجري في عروقهم ، وهذا مما يفسر كثرة البعثات المصرية القديمة الى مختلف المناطق للحصول على الذهب لدفنه مع الموتى الذين كانوا يعتبرونهم في (أوج الحياة وهم في مملكة الموت) ، أو لاستخدامه للتفنن في صناعته وصياغته ، وعمل روائع الحلي منه كتاج (نيفريت Nefret) وعقد ابنة سيسوستريس الثاني ، وإكليل وتاج الأميرة خنوميت Khnoumit و كنز توت عنخ آمون ، وحلي رمسيس الثاني في سيرابيوم ولا سيما خاتم رمسيس [٢] الثاني الذي يعلوه حصانان يقودان عربة ... الخ . أضف إلى ذلك روائع الحلي الذهبية من خواتم وأساور وغيرها من المصنوعات الفنية الهامة التي تدل على غنى وترف ، وثراء وإبداع ، وخبرة واطلاع ، وقد استمر الصائغ المصري على الإبداع حتى العصر الهلنستي ، فأظهر البطالمة ميلهم إلى السلاسل والأساور الذهبية الجميلة التي تدل على ذوق فني ، وعمل أصيل . وإن كل ما تقدم يدل على مدى تقدم الصائغ المصري [٣] وإبداعه في عمل الحلي الذهبية منذ أقدم العصور ، ونجاحه في اقتباسه العناصر الزخرفية لتزيين الحلي الذهبية من تيجان وعقود ، وأقراط وأساور ، وخواتم وتمائم . كما يبدو تفننه في ترصيع الحلي بالأحجار الكريمة ، والعجائن الزجاجية حتى بلغت شهرة الصائغ المصري في عصر المملكة الحديثة الآفاق البعيدة .

٢ — فن الصياغة عند الكريتيين والميسينيين والإغريق : اشتهر الكريتيون فالميسينيون بالابداع في فن الصياغة . حتى ان الحلي الذهبية المكتشفة في أوغاريت جعلت البعض يقارنها بالحلي الميسينية ، ويتساءل فيما اذا كانت هذه الحلي من ابداع افراد جالية ميسينية أقامت في اوغاريت . كما ظهر شغف نساء الاغريق فيما بعد بالأقراط المزينة بشكل حمامة أو اناء أو جرس ... والأساور المنتهية برأس ثعبان ، والعقود المستديرة ، والمشابك المختلفة . وقد بلغ

(١و٢) حضارة مصر والشرق القديم : تأليف الدكاترة ابراهيم رزقانة ، محمد أنور شكري ص ١٢٧ ، ١٧٠ .

(٣) Christiane Desroches — Noblecourt : Le style Egyptien (Larousse Paris) PL. LIII

ترف المرأة الاغريقية درجة حملت (صولون Solon) على وضع حد له [١] . اذ يكفي أن نذكر أن المرأة الاغريقية كانت تزين معصم يدها اليمنى بسوار Dextrale أوDextrocheriumوعضد يدهااليسرى بسوار Spinther ، ومعصم يدها اليسرى بسوار Spathalium .وما فوق ركبتها بسوارCompes. الخ ولا شك ان كثرةالطلب والاقبال على التزين بالحلي ، والتجمل بها ، يؤدي الى ازدهار هذه الصناعة الفنية ، ويغري الكثيرين بممارستها .

٣ ـ فن الصياغة عند الاتروسكيين : اشتهر الاتروسكيون أيضاً بالعمل الفني الدقيق طيلة أجيال ، وتعتبر الحلي احد الميادين الفنية التي ابدعوا فيها ، وتركوا روائع فنية وذلك بفضل خبرتهم المهنية التي اتاحت لهم عمل اسلاك ذهبية دقيقة جداً ، وكرات صغيرة كذرات الغبار [٢] مما حقق لهم ابداع روائع ذهبية تتصف بالجمال ، وتمتاز بالذوق .

٤ ـ فن الصياغة في بلاد مـا بين النهرين : دلت أعمال الحفر والتنقيب في مقبرة الملكة (شوب عاد) على مدى اهتمام سكان بلاد ما بين النهرين بالحلي ـ منذ عهد سلالة أور الثالثة ـ رغم عدم وجود الذهب في بلادهم . ولكن المكتشفات الذهبية زودتنا بمعلومات هامة عن الحلي القديمة المصنوعة من الذهب الصافي ، كما أن قطع النحت دلت على ميل الآشوريين ـ رجالاً ونساء ـ إلى التجمل بالحلي عامة والاقراط خاصة . كما زودتنا بمعلومات عن أشكال الحلي عند الآشوريين . وقد تفنن الصائغ في ابتكار الذؤابات ذات الأشكال الثقيلة ، والسلاسل المتحركة [٣] ، كما ظهر ميل النساء إلى العقود العريضة . وربما كانت عادة تزين رجال الفرس بالاقراط هي من العادات التي ورثوها من الشعوب القديمة التي استوطنت بلاد ما بين النهرين . وقد عبر الفنان الفارسي عن ذلك في روائعه الفنية كمشهد خادم قصر داريوس ، وأحد رماة القصر الملكي ... الخ . ومن روائع الكنز المكتشف قرب ساكيز Sakiz نذكر السوار الذهبي [٤] الذي ينتهي طرفاه برأس حيوانين ... الخ . وان الحلي المكتشفة والمشاهد المنحوتة مما يدل على أن رجال الفرس كانوا يتأنقون بأنواع الحلي يحيطون بها رقابهم ، أو يعلقونها بآذانهم ، أو يزينون بها سواعدهم ...

٥ ـ فن الصياغة في سورية : أن نتائج أعمال الحفر والتنقيب في مختلف مناطق سورية برهنت على مدى ازدهار فن الصياغة ، وتفنن الصائغ السوري القديم في ابداع نماذج جديدة وعديدة

(1) Saglio : Dict . Des Antiquités .T. 1 P. 577
(2) R. Bloch : Les Etrusques P. 115 .
(3) Saglio : Dictionnaire des Antiquites T. 3 - 1 P. 440 .
(4) R, Ghirshman : Iran A Pelican Book P. 106. PL. II (B)

من الحلي الذهبية . وقد عثر في أحد مساكن أوغاريت على ميزان صائغ مع مجموعة كاملة من الأوزان وقطع ذهبية [١] وفضية احتياطية لها شكل حلقات مختلفة ، أضف الى ذلك قالباً جميلاً لصنع الحلي ، وقوالب من النوع ذي الشقين Moule bivalve وطبعات عصبات ... الخ . مما يدل على مدى ما وصل إليه الصائغ في اوغاريت من ابتكار الأدوات اللازمة لابداع الحلي الأنيقة ذات الأشكال ، اللطيفة مما يجعلها رائجة لا في الأسواق المحلية فحسب بل وفي الأسواق الخارجية أيضاً ، وهذا ما يفسر لنـا اعتبار البعض للحلي المكتشفة في بعض بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط عامة وسردينيا خاصة من ابداع مواطنين من الشاطىء السوري ويعتقد الأستاذ Roger - Milès أن أراضي الحثيين كانت غنية بالمعادن الثمينة التي كانوا يبيعونها للفينيقيين مقابل الحلي المصنوعة [٢] ورغم الغزوات الهمجية ، والحروب الوحشية التي أطفأت مشاعل الحضارة في عدد من المراكز الحضارية القديمة في سورية ، فإن تقاليد فن الصياغة قد استمرت أصيلة في سورية ، تتوارثها الأجيال حتى العصر الهلنستي الذي نعمت فيه سورية بمركز هام في العالم القديم . ويبدو ان فن الصياغة قد استأثر بعطف السلوقيين (٣١٢ – ٦٤ ق . م) مـلوك سورية ، حتى ان الملك انطيوخس الرابع (١٧٤ – ١٦٤ ق . م) كثيراً ما كان يترك حاشيته ليتجول في سوق صائغي الفضة والذهب ، فكان يلتقي بالسباكين ويقـابل الصائغين ، فيتحدث معهم ، ويصغي إليهم ، ويتأمل في ابداعهم الفني ؛ فيتمتع بما كان يطلع عليه من أعمال فنية [٣] . وكانت احتفالات الملك (انطيوخس ابيفان) في عاصمته انطاكيـــة تتميز بظهور الترف الذي كان يتمثل بكثرة الأواني والتروس والتيجان الذهبية التي تدل على مدى تقدم فن الصياغة السورية ، وكثرة استخدام الذهب في التزيين والتجميل ، حتى قيل ان معبد انطيوخس ابيفان (١٧٤ – ١٦٤) كان مغطى بالذهب ، وكانت جدرانه مستورة بصفائح ذهبية [٣] ، ولم يكن الصائغ السوري يستخدم الذهب في ابداع التيجان والأكاليل فحسب بل كان يتفنن في استخدامه وادخاله في النسيج والأسلحة مما جعل السلاح ذاته مظهراً من مظاهر الترف .

وعندما ازدهرت تدمر وأصبحت عاصمة سياسية هامة في الشرق ، ومحطة كبرى للتجارة العالمية تتجه القوافل إليها ، وتخرج منها ، حاملة معها البضائع العديدة الى مختلف انحاء العالم القديم ، ظهر البذخ وانتشر الترف ، وأخذت الحسان يطلبن الحلي الجميلة ، ويتزين بالأقراط

(1) Claude Schaeffer : Ugartica T. 1 P.
(2) Roger - Miles : La Bijouterie . Paris- Hachette 1895 P. 41 .
(٣) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٠٥ .
(4) Saglio : Dictionnaire des Antiquites T. 1 P. 574 .

البديعة والأساور المضفورة والمبسطة ، والخواتم العديدة المرصعة بالأحجار الكريمة ، والأطواق الكثيرة ، والمشابك الكبيرة . ويكفي أن نلقي نظرة عابرة على تماثيل التدمريات [١] لندرك مدى اهتمامهن بالحلي ، وميلهن إلى التزين والتجمل بها ، في عصر احتل فيه بعض السوريين ـ مثل كاراكالا (٢١١ ـ ٢١٧) وفيليب العربي (٢٤٤ ـ ٢٤٩) ـ عرش روما ، وظهر فيه نفوذ السيدات السوريات ـ مثل جوليا دومنا (١٥٨ ـ ٢١٧) ـ مما جعل السوريات مثال الاناقة في ذلك العصر الذي تطلب فيه الترف الاجتماعي ، والازدهار الاقتصادي ، التفنن والابداع في صياغة الحلي الذهبية ، حتى غدت تعتبر مظهراً من مظاهر الجمال ، وشارة من شارات الاناقة ، بل إحدى مستلزمات الحياة الاجتماعية التي كان يسودها مبدأ (النفعية في الجمال) ، والشعور بالرغبة في رؤية الجمال في كل ما كان يستخدمه الانسان .

وتدل الحلي الذهبية المكتشفة في سورية على أن الصائغ السوري قد لبى تلك الطلبات ، وأبدع في فن الصياغة ، في عصر كانت فيه روما تشتري أكثر مما تصدر ، (وكانت روما والولايات الغربية في نظر السوري أرض الميعاد والمجال الحيوي للكسب والربح) مما أدى إلى ازدهار اقتصادي وصفه الدكتور فيليب حتي بقوله : (... وقد تجلى التوسع الاقتصادي السوري في ولايات اللاتين بعدد الجاليات التي يمكن تتبع تاريخها منذ بداية الامبراطورية حتى نهايتها وملأت السفن السورية البحر كما في الأيام السابقة ، وانتعشت الخصائص الفنيقية القديمة ...) [٢] وقد ارتفعت أثمان الحلي حتى قيل أن ثمن قرط في روما كان يعادل ثمن مزرعة لكثرة اقبال الرومانيات على الحلي والجوهرات ، وهذا مايبرر قانون (ابيوس) الذي كان يحرم على النساء التحلي بالذهب وغيره من مظاهر الترف .

أما في سورية ولا سيما في تدمر ، فيكفي لبيان أهمية الحلي فيها ان نذكر ان كتابة تعود الى منتصف القرن الثالث تفيد وجود (نقابة لصائغي الذهب والفضة) [٣] مما يدل على كثرة المتهنين لفن الصياغة ، ورغبتهم في حماية مصالحهم ، وتنظيم أعمالهم ، وتلبية طلبات زبائنهم ، فتعددت أنواع

(١) واخص بالذكر تمثال الحسناء التدمرية المحفوظ في كوبنهاجن المنشور في كتاب :
Champdor : Les Ruines de Palmyre P. 91

(٢) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ س ٣٨٣ .
(٣) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ س ٤٣٤ .

المصنوعات الذهبية ، وتنوعت أشكالها ، إذ أن لنساء الشرق عامة وسورية خاصة ميلاً كبيراً إلى الحلي ، وذوقاً خاصاً في حسن اختيارهن النماذج الجميلة . ويكفي أن نلقي نظرة عابرة على الآثار المكتشفة في حوران [١] وجبل العرب لندرك مدى اهتمام السوريات في العصر الروماني بالعقود المفردة والمزدوجة ، وأساور المعصم والعضد والقدم ، والأقراط المؤلفة من الكرات وأنصاف الكرات والسلاسل الطويلة ، والحلقات الكبيرة ... أضف إلى ذلك الخواتم والعصبات ، بل يمكن القول بان الحلي المكتشفة في حوران أغنى المجموعات المكتشفة في أية منطقة أخرى من مناطق العالم . وربما كان قول روستوفتزت [٢] يفسر ذلك إذ أن (الحكومة الرومانية وطدت أركان السلام والطمأنينة في حوران وفي الاصقاع الشاسعة المجاورة من الأراضي القابلة للزراعة والمتاخمة للصحراء ، ولا سيما بعد ضم بلاد العرب الحجرية ، وحلت الطرق الرومانية الجيدة محل طرق القوافل القديمة ، وحصنت أهم الأماكن في هذه الطرق وهي موارد المياه ، ووضعت فيها حاميات رومانية ، فازدهرت حياة جديدة في الاقليم الواقع فيما وراء الاردن ، فأصبحت المدن القديمة مراكز تجارية رائجة ، وازداد ثراؤها ورخاؤها .

وإن الحلي المكتشفة في غوطة دمشق تتميز بطابع محلي ، وتؤكد قول (ديورانت) بان العمال السوريين اشتهروا بالجد والمهارة في الصناعات اليدوية إلى درجة أنه لم يكن في الامبراطورية الرومانية ولاية تفوق سورية في صناعاتها ...[٣]

من كل ما تقدم يبدو خطأ نسبة كل أثر قديم إلى الرومان ، مع أن الطابع المحلي لآثارنا خير دليل على أنها من ابداع مواطنين أخذوا على عاتقهم رسالة الاستمرار على الابداع . أضف إلى ذلك أن الروماني كما وصفه (ديورانت) (كان يعوزه الخيال ... وكان يحمل ببعض الجهد على أن يحب الجمال ، ولكنه قلما استطاع أن يخلق هذا الجمال خلقاً ...[٤])

وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية ، استمر الصائغ السوري على الابداع والتفنن مستخدماً

---

(١) ويزهو المتحف الوطني بعدد من روائع فن النحت المكتشفة في حوران والتي تمثل نساء تزين بالحلي المختلفة .

(٢) تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي تأليف م . رستوفتزف . ترجمة ومراجعة زكي علي ومحمد سليم سالم (مكتبة النهضة العربية) ج ١ (المتن) ص ٣٥٣ .

(٣ و ٤) ديورانت : قصة الحضارة ج ٩ ص ١٢٢ و ١٤٩ .

الأحجار الكريمة في ترصيع الأطواق والأقراط والخواتم والأساور، حتى يخيل للباحثين أن الذهب كان بمثابة مادة ثانوية بالنسبة للأحجـار الكريمة . وقد تساءل الأستاذ (لوميرل Paul Lemerle [1] فيما إذا كانت بيزنطة قد تعلمت من سورية عمل المعادن الثمينة ، واعتبر ما اكتشف في Kerynia في جزيرة قبرص من أشياء فضية وحلي ذهبية هي ابداع من سوري، وأكد تأثير المدرسة الفنية السورية على الصائغ في العاصمة نفسها) . وقد عثرت البعثة البولونية في منطقة معسكر (؟) ديوقليسيان في تدمر على كنز ذهبي مؤلف من دنانير ذهبية بيزنطية وحلي ذهبية قديمة هامة .

وعندما أشرقت شمس الإسلام ، تورع الرجال المسلمون عن التزين بالذهب والتدثر بالحرير فأخذ الصائغ السوري يبدع الحلي للنساء فقط ، ويتفنن في مظهرها الزخرفي ، وشكلها الأنيق .

وعندما تعرض وطننا للغزوات التترية والحمـلات المغولية ، انحطت الصناعات السورية في فترة هلك من سكان دمشق وحدها أكثر من ثلاثين الفاً من المواطنين . أضف إلى ذلك أن مصادرة الماهرين من الصناع ، وتهجيرهم إلى موطن الفاتحين ، مما جعل بلادنا تمر بفترة جمود صناعي وشلل فني .

ولكن الصناعات الفنية أخذت تدريجياً تستعيد مكانتها الأولى ، ومن أهم هذه الصناعات الفنية فن الصياغة الذي أخذ يزدهر في عصرنا الحاضر حتى أصبح الصائغ السوري متفوقاً على غيره ، تتهافت على مصنوعاته الذهبية أبناء البـلاد المجاورة وأثرياؤها إلى درجة يمكن القول بأن صادرات سورية من الحـلي تشكل قسماً هاماً من صادراتها العامة ، وتعود عليها بقسط كبير من دخلها العام بفضل مهارة الصائغ السوري ، وذوقه الفني ، واستمراره على الابتـكار ، وابداعه في التجديد .

روائع الحلي الذهبية المكتشفة في سـورية :

مما تقدم تبدو أهمية الحلي السورية عبر التاريخ ، مما يدل على مدى اقبال السوريات على التزين بالحلي ، والتجمل بها ، والحرص عليها ، لأنها ثروتهن ، وعنصر تفاخرهن ، وعامل سرورهن واذا كانت أرضنا الطيبة ما زالت تكافىء المنقبين بمختلف أنواع الحـلي التي تعود الى مختلف

(1) Paul Lemerle : Le Style Byzantin (larousse - paris) p. 106.

العصور ، فانني سأستعرض بشيء من التفصيل الحلي المكتشفة في سوريا والتي تعود إلى العصر الهلنستي والروماني والبيزنطي ، لأن المتحف الوطني بدمشق يزهو بمجموعاته الكثيرة التي تعود إلى هذه العصور .

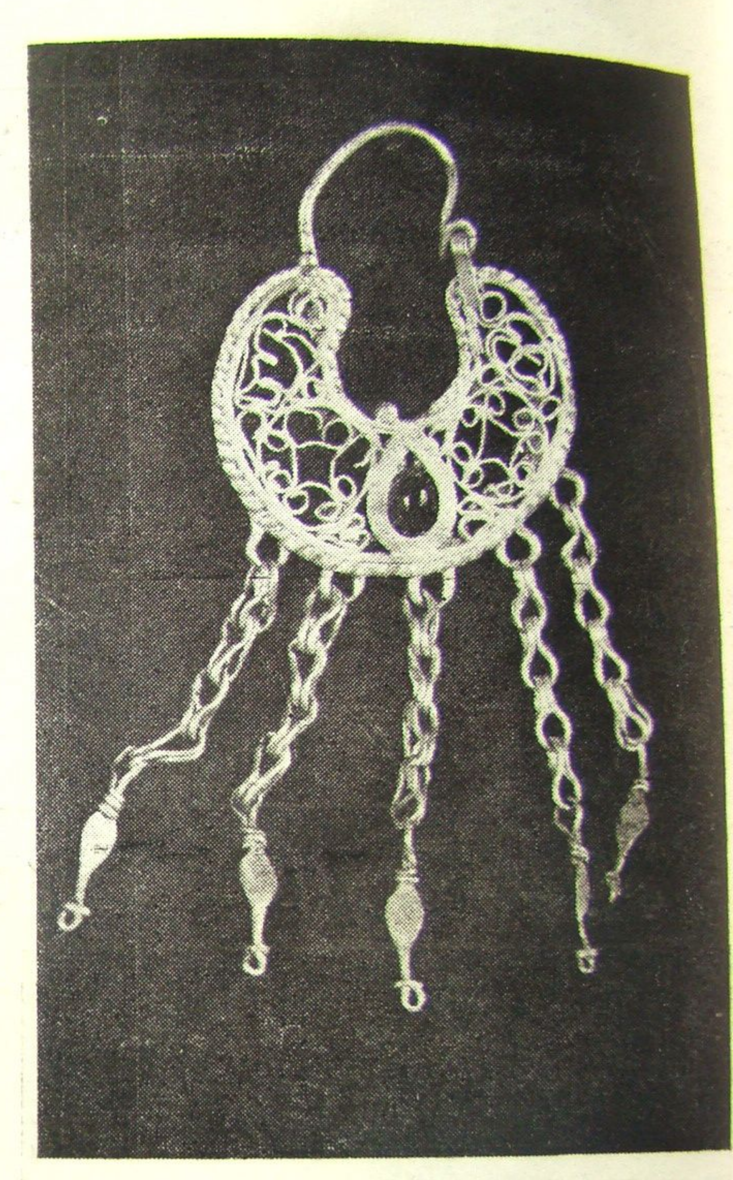
١) — **الأقراط** : إن كثرة الأقراط الذهبية المكتشفة في سورية مما يؤكد آراء المؤرخين القائلين بأنه في الشرق ظهرت — للمرة الأولى — عادة ثقب شحمتي الأذنين [١] ، وتزيينهما بحلقة معدنية . فكان ذلك ابتكاراً جديداً أضاف إلى الإنسان عنصراً جديداً من عناصر الزينة التي كانت وما زالت موضع اهتمام المرأة . ويمكن تلخيص تطور ابداع الأقراط الذهبية كما يلي :

تعتبر الأقراط الذهبية المكتشفة في أوغاريت وماري من أقدم الحلي الذهبية السورية المعروفة حتى الآن ، فهي اما بشكل حلقات ذهبية تنتهي بطرفين دقيقين يكونان عادة من الجهة الخلفية لشحمتي الأذنين . وأما بشكل حلقات ذات مظهر بسيط وطرفين متصلين ببعضهما ، ثم أخذ الصائغ السوري القديم يستخدم الخرزات الزجاجية في تزيين هذه الحلقات مما كان يضفي على الأقراط — رغم بساطتها — جمالاً يعتمد على انسجام لون القرط الذهبي مع لون الخرزة الزجاجية . وقد توصل ذلك الصائغ القديم إلى ابداع أقراط جميلة منحنية لها شكل هلال وتزين سطحها حبيبات صغيرة جداً . وقد أعجب الصائغ السوري في القرن السادس ق . م بشكل الأقراط الهلالية الشكل ، فأخذ يبدع أقراطاً مماثلة ينتهي طرفاها بشريط طويل ، ويزين سطحها وجوانبها حبيبات صغيرة جداً ، ودوائر تدل على دقة في العمل ، وذوق فني رفيع .

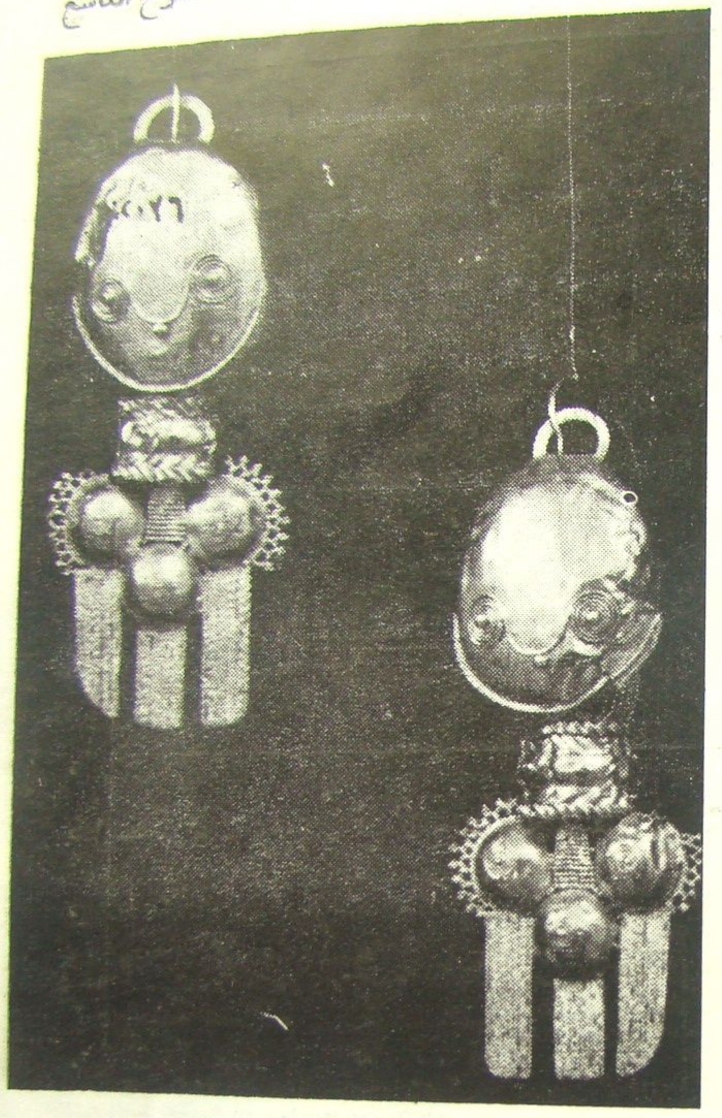
وفي العصر الهلنستي أخذ الصائغ يبدع أقراطاً تنتهي برأس حيوان (أسد . ثور ... الخ) ، كما أخذ يجعل الأقراط بشكل حيوان خرافي (أسد مجنح .) ، أو يقتبس أشكال أشخاص من الميثولوجيا (ايروس ، مينرفا ، تيكه ، أتيس) . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من هذه الأقراط ، نذكر منها ما يلي :

الأقراط الذهبية المؤلفة من حلقة عادية أو مجدولة طرفها دقيق وتنتهي برأس أسد

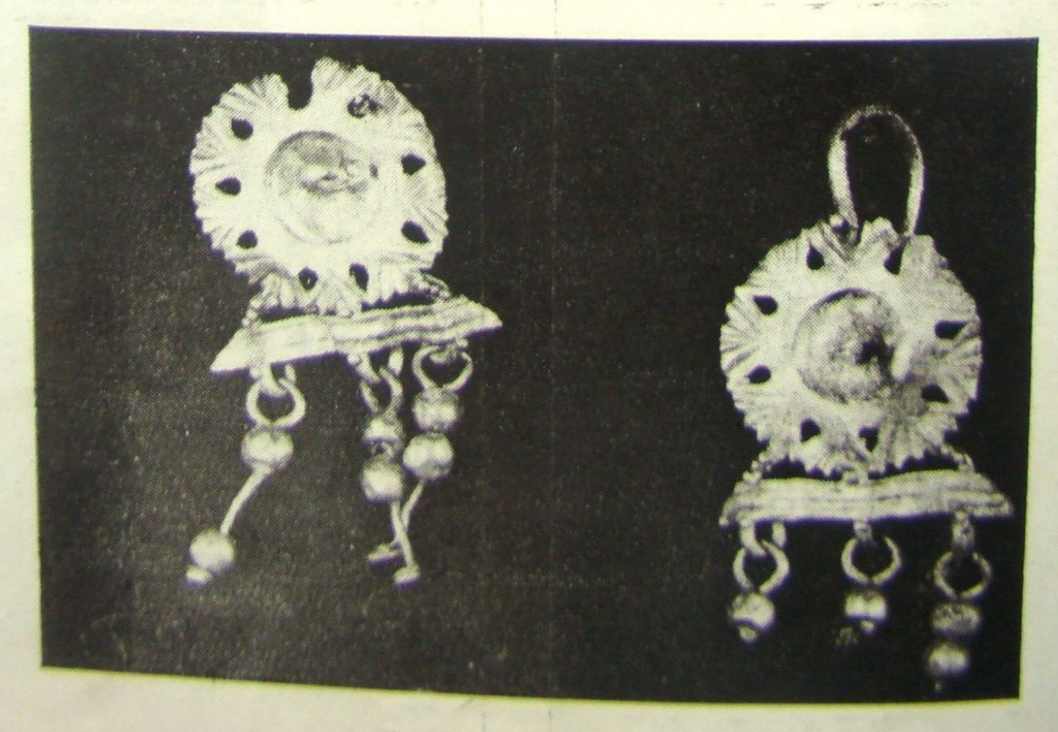
(1) Saglio : Dictionnaire des Antiqutés T III - 1 P. 440 .

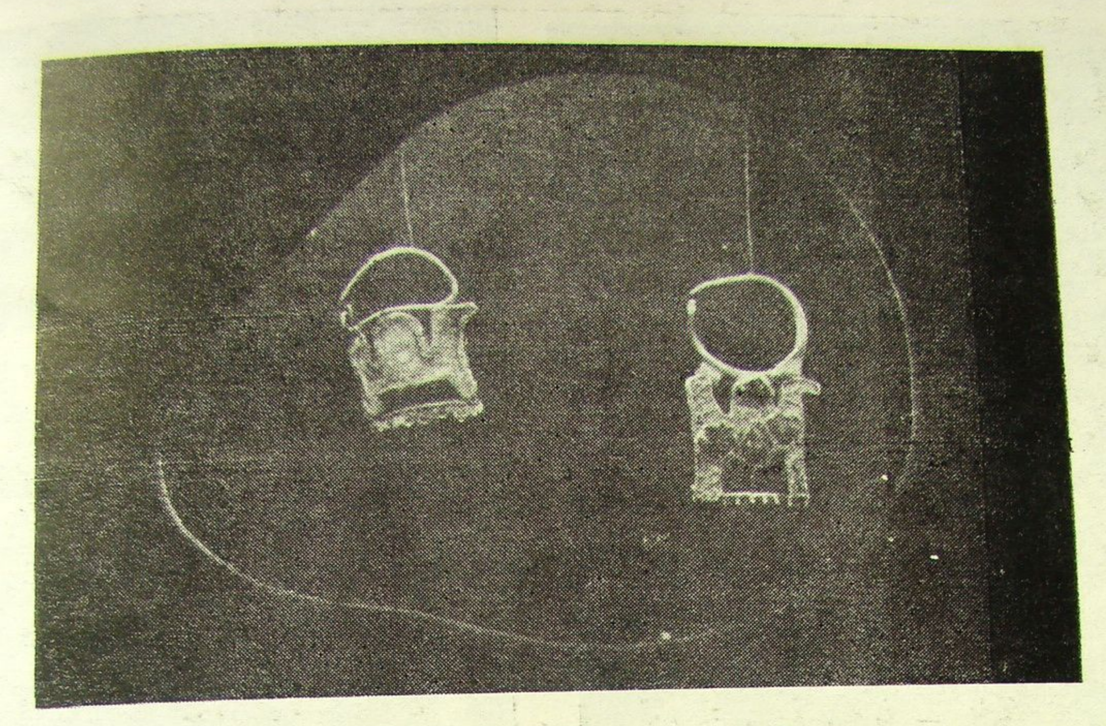


١ – قرط ذهبي من القرن السادس الميلادي

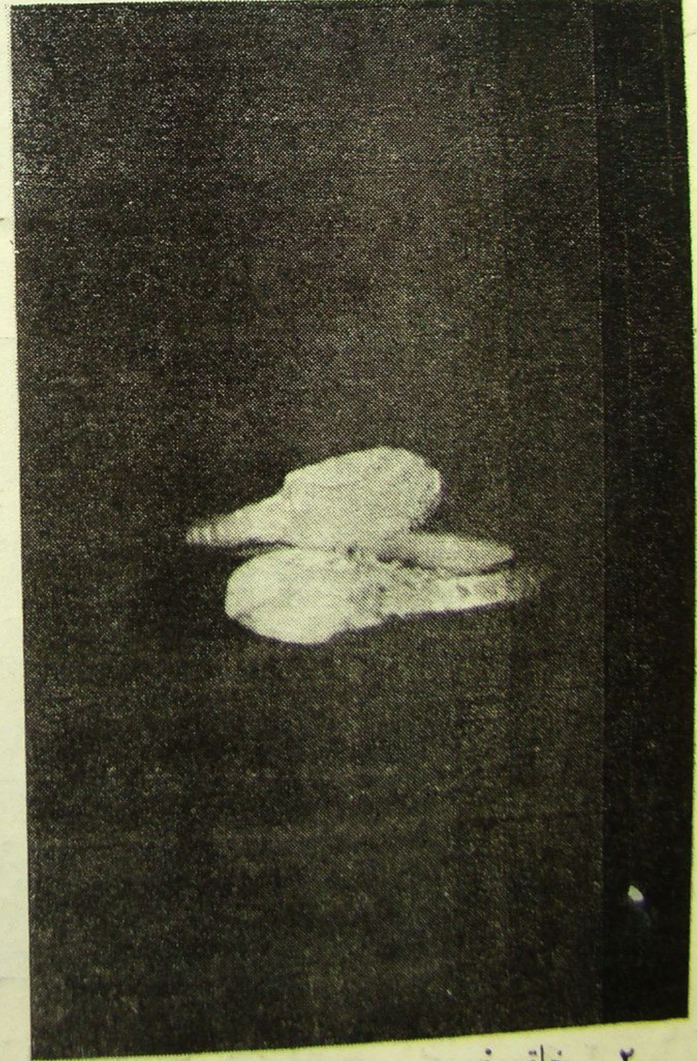


٢ – قرطان ذهبيان من القرن الثالث الميلادي





١ ـ قرطان ذهبيان ثمينان جداً مكتشفان في الغزلانية (غوطة دمشق) من القرن الثالث الميلادي



٢ ـ خاتم ذهبي من القرن الثالث الميلادي



٣ ـ سوار ذهبي مكتشف في حوران
من القرن السادس أو السابع بعد الميلاد

١ — من روائع الحلي المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق

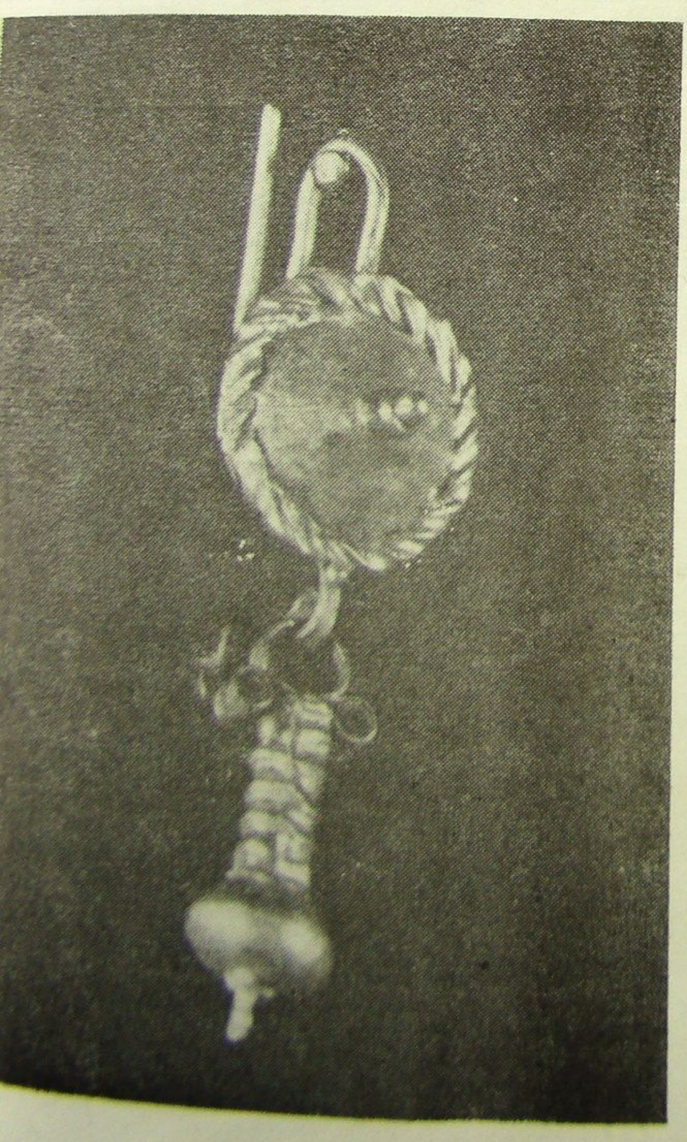
٢ — من روائع الحلي الذهبية السورية في العصر البيزنطي

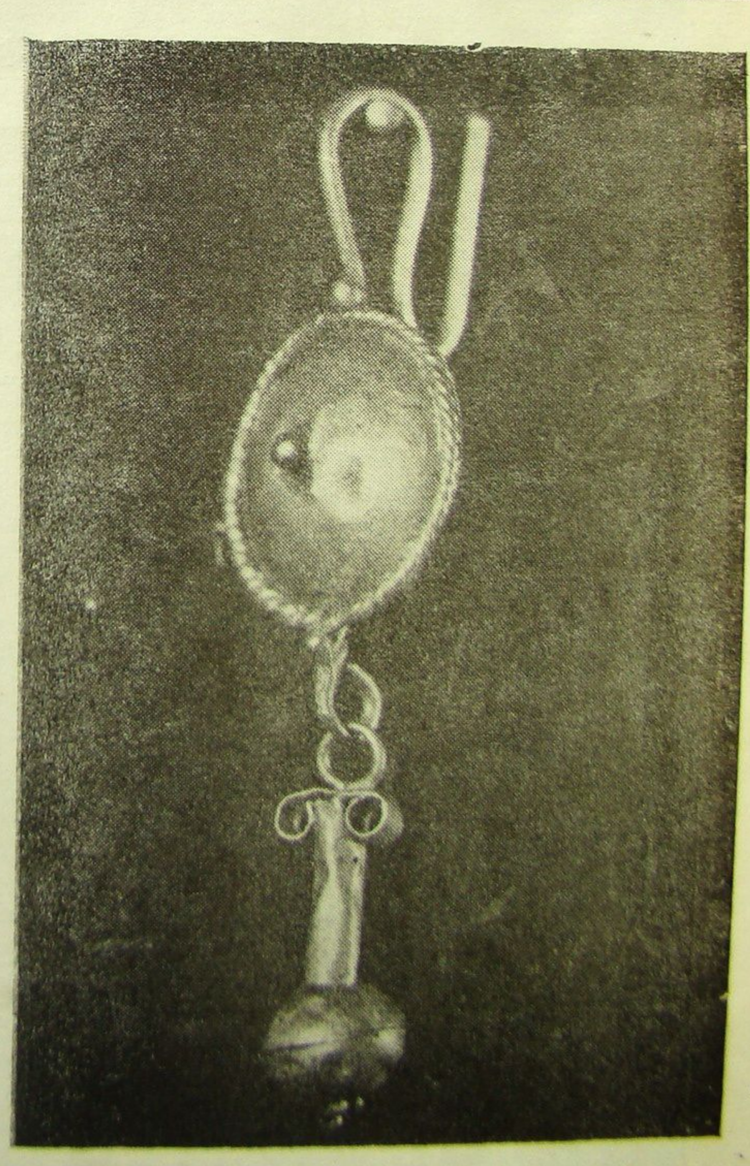


١ – قرص ذهبي مخروطي الشكل من القرن الثالث الميلادي

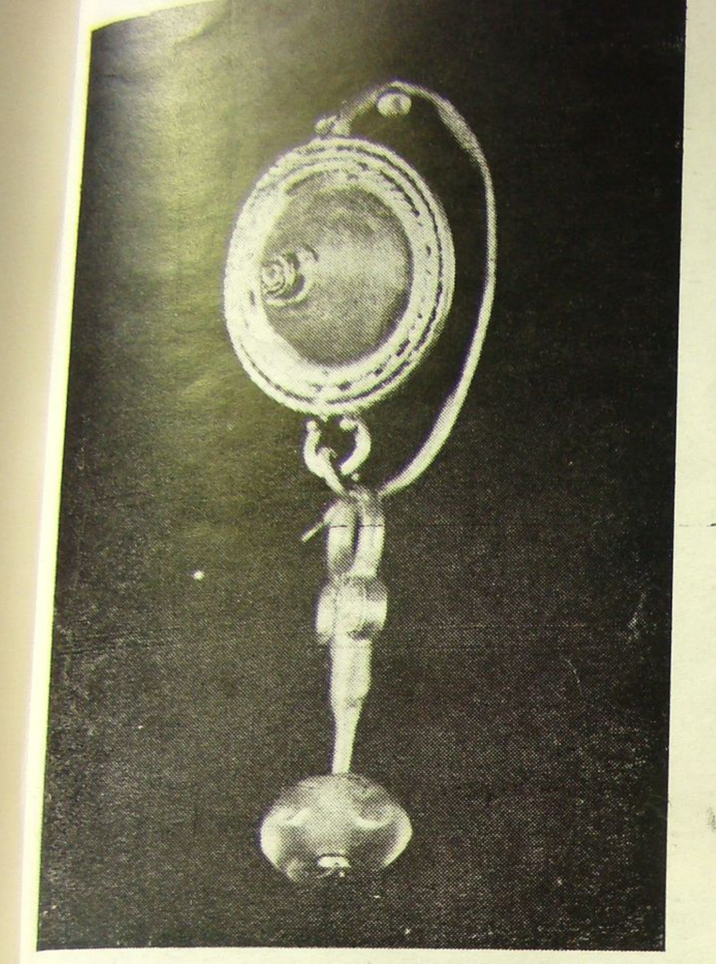
٢ – مشبك ذهبي مكتشف في خسفين

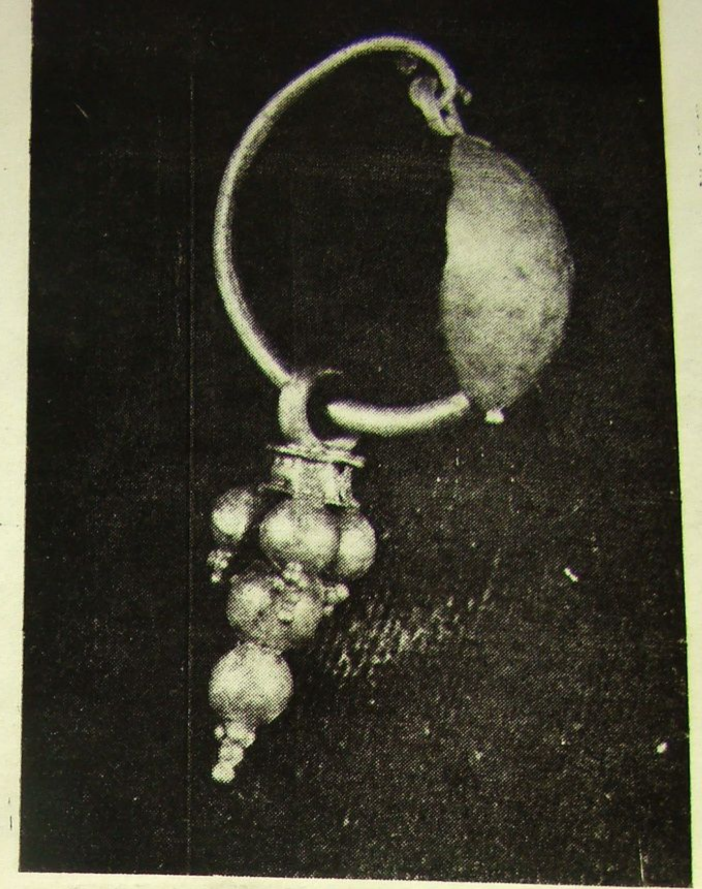
١ – مجموعة من الحلي الذهبية المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق





من روائع الأقراط الذهبية المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق





١ ـ قرط ذهبي تتدلى منه كرات ذهبية بشكل عنقود



٣ ـ خزام ذهبي من القرن الثالث الميلادي

أهمها القرط الذهبي المكتشف في منطقة انطاكية والمسجل في سجلات فرع آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية تحت رقم ٢٦٥٣/٥٣١٧ والقرط المسجل تحت رقم ٧٥٩١/٢١٩٤ والقرط المسجل تحت رقم ٣٦٥١/٨٢٤١ يبدو فيه الأسد فاغراً فاه ، يعبر عن الحياة كعنصر رئيسي من عناصر الجمال .

وهناك الأقراط الذهبية المؤلفة من حلقة عادية أو مجدولة ، طرفها دقيق ، وتنتهي برأس ثور ، وأهمها القرط الذهبي المكتشف في منطقة درعا والمسجل تحت رقم ٣٥٧/١٤٣٨ والقرط المكتشف في حمص والمسجل تحت رقم ٣٩٨٩/٨٧٦٩ والقرطين المكتشفين في الغزلانية في غوطة دمشق المسجلين تحت رقم ٢٥٤٦/٥١٢٥ و ٢٥٤٧/٥١٢١ ... الخ . وتعود هذه الأقراط إلى أوائل القرن الثالث ق . م (١) .

وهناك الأقراط الذهبية المؤلفة من حلقات يتدلى منها تمثال ذهبي صغير جداً يمثل إله الحب ايروس يبدو مجنحاً وأهمها زوج القرط الذهبي المؤلف من حلقة أحد طرفيها دقيق والآخر ينتهي بعروة ، ويتدلى من هذه الحلقة تمثال ذهبي صغير جداً يمثل (ايروس) مجنحاً ويداه تعبران عن الحركة والحياة ، ويتقدم الحلقة الذهبية قرص ذهبي مستدير يزين سطحه شكل وردة ، وقد سجل هذا الأثر الذهبي تحت رقم ٥٤٤٠/١٢٠١٧ وهناك أقراط لها شكل ملاك مجنح كالقرط المكتشف في (قرحتا) والمسجل تحت رقم ١٩٥٤/٤٢٢٧ .

أضف إلى ذلـك الأقراط المزينة بربة النصر (منيرفا) كزوج القرط المكتشف في (دير الحجر) والمسجل تحت رقم ٢٥٤٤/٥١١٨ والقرط المكتشف في حمص المسجل تحت رقم ٤٠٦٣/٨٩٠٣ وغيره من الأقراط المزينة باحدى ربات الاغريق كالقرط المسجل تحت رقم ١٢٠٦٥ والجدير بالذكر أن الصائغ استمر على ابداع هذه الاقراط الذهبية من القرن الرابع حتى القرن الأول الميلادي ومن روائع هذه الاقراط قرط مكتشف في حوران ومسجل تحت رقم ١٤٦٦١ .

---

(١) اعتمدنا في تحديد تاريخ الحلي على كتاب :
Katalog der Coldschmiede - Arbeiten Von Berta Segall, Museum Benaki Athen 1938.
وانا لننتهز هذه الفرصة لنشكر الزميل الاستاذ قاسم طوير لتفضله بترجمة وصف بعض القطع الذهبية المنشورة في هذا الكتاب .

أضف إلى ذلك الاقراط الذهبية المؤلفة من حلقات متصلة بكرات ذهبية تزين سطحها حبيبات صغيرة . كما أن هناك أقراطاً ذهبية تعود إلى العصر الهلنسي . ومن أهم هذه الأقراط نذكر زوج القرط المسجل تحت رقم $\frac{٦٥٠٥}{١٥٣٨٠}$ والمؤلف من حلقة يتقدمها قرص متصل بكرة ذهبية .

وفي أواخر العصر الهلنستي ظهرت الأقراط المؤلفة من حلقة أحد طرفيها دقيق ، والآخر ينتهي بعروة وقد رصف فوق هذه الحلقة صفان أو أكثر من الكرات الصغيرة . وقد استمر الصائغ على ابداع هذه الأقراط من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة هامة نذكر منها زوج قرط عثر عليه في تربة الأشعري في طفس وسجل تحت رقم $\frac{١٣٧٠}{٣٠٠٠}$. وزوج القرط المسجل تحت رقم $\frac{٧٢٥٣}{١٥٨٨/}$ وزوج القرط المسجل تحت رقم $\frac{٧٣١٦}{١٦٧٣/}$ والقرط المسجل تحت رقم $\frac{٧٣٣٢}{١٦٧٩/}$ والقرط المسجل تحت رقم ١١٠٠٠ يزينه حجر سيلاني صغير ، والقرط المسجل تحت رقم ١٢٨٦٩ يزين مقدمته حجر سيلاني صغير والقرط المسجل تحت رقم ١٤٧٢٠ .

وفي القرن الأول والثاني الميلاديين أخذ الصائغ يبدع أقراطاً أحد طرفيها دقيق ويزين الطرف الآخر رأس سيدة جميلة الملامح . وفي المتحف الوطني بدمشق عدد من هذه الأقراط المكتشفة في (يحمور) والمسجلة تحت رقم $\frac{٥٥٤٨}{١٢٧٦٢}$ و $\frac{٥٥٥٠}{١٢٧٧٢}$.

وانتشر تذوق الحلي المرصعة بالأحجار الكريمة فأخذ الصائغ يستخدمها في تجميل الأقراط لتلبية رغبات حسان عصره ، وفي المتحف الوطني بدمشق عدد من هذه الأقراط المرصعة بالأحجار الكريمة التي تمثل المشهد الأمامي لوجه حسناء نذكر منها زوج القرط المكتشف في حوران والمسجل تحت رقم ٣٥٥ والقرط الكبير المكتشف في تربة الأشعري في طفس المسجل تحت رقم $\frac{١٣٧٣}{٣٠٠٣}$ و $\frac{١٣٧٤}{٣٠٠٤}$ أضف الى ذلك القرط المسجل تحت رقم $\frac{٧٥٨٨}{٢١٨٦/}$ مكرر و (١٢٠٧٢) .

وبدأ الصائغ يتفنن في شكل الأقراط في القرن الثاني الميلادي حتى توصل إلى ابداع أقراط مؤلفة من حلقات منثنية لها شكل اذن انسان ، ثم رصع هــذه الأقراط بحجر كريم . وفي المتحف الوطني بدمشق عدد من هذه الأقراط نذكر منها : القرط المسجل تحت رقم ٧٠٢١ .

ثم ظهر شغف النساء وميلهن إلى الاقراط الكبيرة ، وتذوقهن الأحجـار الكريمة ،

ولا سيما في عهد الامبراطورية الذي كثرت فيه طلبات الحسان للحلي المرصعة بالأحجار الكريمة أو الأقراص الزجاجية ،وحرصهن على رؤية الانسجام بين ألوان هذه الأحجار الكريمة والأقراص الزجاجية مع لون الذهب ، وصارت هذه الأقراط حلم الحسان [١] وأملهن ، لأنها موضع منافستهن لبعضهن ، وعنصر تظاهرهن وتفاخرهن في ميدان السباق إلى الأناقة . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من الأقراط المرصعة بالأحجار الكريمة نذكر منها زوج قرط رقمه ٣٤٩/١٤٢٩ يزينه اللؤلؤ ، والقرط المكتشف في دورا اوروبوس ورقمه ١٦٥٨/٣٦٢٦ والقرط المكتشف في الغزلانية رقمه ٢٧١٢/٥٤٥٣ تزينه ياقوتتان وزمردة خضراء .

فأخذ الصائغ في القرن الثاني والثالث يبدع الأقراط الكبيرة ، ويجعل في أسفلها كرات صغيرة لها شكل عنقود العنب . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة هامة من هذه الأقراط نذكر منها زوج القرط المكتشف في تربة الأشعري في طفس والمسجل تحت رقم ١٣٥٧/٢٩٨٨ و ١٣٧٨/٣٠٠٧ والقرط المكتشف في بلدة (العال) والمسجل تحت رقم ٢٦٦٣/٥٣٣١ . ولا سيما القرط المسجل تحت رقم ٤٤٠٨/١٢٠١٦ وزوج القرط المسجل تحت رقم ٤٥٠٨/١٠٣٣٢ والقرط رقم ٧٠٦٥/١١٩٥/ والقرط رقم ٧٥٢٣/٢٠٢٨/ مكرر و ٦٧٠٥ و ٧٥٢٣ و ١٠٦٣٩ و ١٠٦٧٢ و ١٠٦٧٤ و ١٠٩٩١ و ١٠٩٩٧ و ١٢٠٧٥ و ١٢٠٧٦ و ١٢١٥٣ و ١٢١٩٦ و ١٢٥٧٦ .

وفي القرن الثالث الميلادي أخذ الصائغ يبدع الاقراط الجميلة ذات السلاسل والذؤابات مما كان يضفي على الحسناء صفة الاناقة ، ويعطي لحركاتها الرشاقة . وفي المتحف الوطني بدمشق عدد من هذه الاقراط أهمها : زوج قرط اكتشف في تربة الاشعري في طفس ومسجل تحت رقم ١٣٦٠/٢٩٩٠ و ١٣٦١/٢٩٩١ و ١٣٦٢/٢٩٩٢ و ١٣٦٦/٢٩٩٦ واكتشف في بلدة (العال) زوج قرط مستدير تتدلى منه ذؤابات تزينها أحجار كريمة رقمه ٢٦٥٦/٥٣٢٢ و ٢٦٥٧/٥٣٢٣ و ٢٦٥٩/٥٣٢٥ أضف إلى ذلك زوج قرط رقمه ٣٢٤٣/٦٩٩٨ مؤلف من حلقة يتقدمها قرص ذهبي مخرم بشكل وردة ويتدلى من الحلقة ثلاث ذؤابات لطيفة تزينها أحجار كريمة كما اكتشف في خسفين زوج قرط رقمه ٤٤٨٩/١٠٢٩٨ مؤلف من حلقة يتقدمها قرص ذهبي مخرم له شكل وردة يستند على عارضة مخرمة لطرفيها شكل رأس حصان ويتدلى منها ثلاث ذؤابات يضم كل منها لؤلؤة صغيرة .

---

(1) Saglio : Dictionnaire des Antiquités T. 3 - 1. P. 446 .

وظهرت اقراط ذهبية في القرن الثالث الميلادي تتميز بقرص كبير يزينه سلك دقيق يعطي لسطح القرص ملامح وجه إنسان . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من هذه الاقراط نذكر منها : زوج قرط اكتشف في الزوية رقمه ٥٤٥٧/١٢٠٣٦ وزوج قرط رقمه ٣٢٤١/٦٩٩٦ يتألف من حلقة يتقدمها قرص مستدير عليه سلك دقيق يعبر من عينين وأنف باسلوب مبسط ،ويتصل بأسفل الحلقة كرات مزينة بكرات صغيرة جداً . أضف الى ذلك القرط الذهبي المسجل تحت رقم ٣٢٤٢/٦٩٩٧ .

كما ظهرت الاقراط الذهبية المؤلفة من حلقات يتقدمها اقراص ، ويتدلى من الحلقة شكل تعلوه عروة أو ثلاث ويضم في أسفله خرزة زجاجية أو من حجر كريم . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من هذه الاقراط منها : القرط المسجل تحت رقم ١٤٦٦٤ و ١٤٤٨٣ و ١٤١٣٢ .

وأخذت الاقراط تسمى بحلقات إذن مما يدل على شكلها . ولكن هذا الشكل قديم وقد كنا ذكرنا الحلقات المكتشفة في أوغاريت ، ولكن الصائغ أخذ فيما بعد يهتم بحجم هذه الاقراط ويجعلها فارغة اقتصاداً في المادة ، واجتناباً لثقل وزن الاقراط . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من هذه الاقراط المكتشف في تربة الاشعري في طفس ورقمه ١٣٥٣/٢٩٨٣ له شكل سوار(؟) مجوف أضف الى ذلك القرط ذا الرقم ١٣٥٤/٢٩٨٤ و ١٣٥٥/٢٩٨٥ .

ويبدو أن الصائغ وجد في شكل الجمل جمالاً جديراً بالاقتباس ، فأبدع اقراطاً مؤلفة من صفائح ذهبية لها شكل مشهد جانبي للجمل ، ورصعه بأحجار كريمة . وفي المتحف الوطني بدمشق قرطان عثر عليها في قرية الغزلانية الواقعة في غوطة دمشق رقم أحدهما ٢٩٩٣/٦٧٢٠ أما القرط الآخر فقد سجل تحت رقم ٣٦٠٤/٨٣٤٦ يتميز بأنه مرصع بأربعة أحجار عقيق صغيرة .

وفي القرن الرابع والخامس الميلاديين أخذ الصائغ يتفنن في ابداع اقراط ذات عناصر مقتبسة من عالم الأشكال الهندسية (كالهرم والاسطوانة ...) .

ومنذ القرن السادس الميلادي ظهر تذوق الأقراط الهلاليــة الشكل ، والأقراط ذات الأشكال نصف المستديرة . ولكن الصائغ أخذ يتفنن في العمل ، ويتبنى الخيوط الذهبية الدقيقة ليبدع منها أقراطاً ذات مظهر زخرفي ، وتقنية نسيجية تنم عن صبر الصائغ ، ودقته في العمل، وأخذ يزين أطراف هذه الأقراط النسيجية بكرات صغيرة وحبيبات ناعمة ، تضفي على المظهر

العام للأقراط جمالاً يثيره الاعجاب والتقدير (١) . وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة هامة من هـذه الأقراط منها قرط اكتشف في (تسيل) ومسجل تحت رقم ١٣٨٠/٣٠٠٩ وزوج قرط مكتشف في (قرحتا) له شكل هلال يتدلى منه أربع سلاسل مسجـل تحت رقم ١٩٥٠/٤٢٢٣ وزوج قرط اكتشف في (العال) رقمه ٢٧٤٠/٥٤٨٢ و ٢٧٤١/٥٤٨٤ يتميز هذا القرط الأخير بشكله نصف المستدير تحيط به الكرات الصغيرة . أضف إلى ذلك القرط المسجل تحت رقم ٣١٢٣/٦٨٦٨ له شكل نصف دائرة عريضة تزينه حبيبات صغيرة جداً تؤلف مثلثات ، والقرط المكتشف في (قرحتا) ورقمه ٢١٨٨/٤٥٩٤ والقرط المسجل تحت رقم ٣١٣٦/٦٨٨٢ و ٣١٣٧/٦٨٨٢ و ٣١٣٩/٦٨٨٥ والقرط المكتشف في (العال) والمسجل تحت رقم ٣٠٨٩/٦٨٢٩ والأقراط المكتشفـة في (الزوية) المسجلة تحت رقم ٣٢٦٩/٧٠٥١ و ٣٢٧٠/٧٠٥٢ و ٣٢٧١/٧٠٥٣ والقرط المكتشف في تربة الأشعري في طفس والمسجل تحت رقم ١٣٦٢/٢٩٩٢ يتميز بدوائر جميلة من أسلاك ذهبية دقيقة . ولا سيما القرط الذهبي المسجـل تحت رقم ١٣٠٨٢ له شكل هلال مخرم ومفرغ يتوسطه حجر سيلاني صغير اجـاصي الشكل ، ويتدلى منه أربعة سلاسل . أضف إلى ذلك الأقراط الذهبية المسجلة تحت رقم ١٣٠٨٤ و ١٣٠٨٥ و١٣٠٨٧ و ١٣٢٣٢ و ١٣٢٣٣ و ١٣٢٣٤ و ١٣٢٨٧ .

٢ أ — الأطواق : إن روائع فن النحت المكتشفة في تدمر وحوران وجبل العرب تدلنا على مدى انتشار عادة التجمل بالعقود والأطواق ، بل إنها تساعدنا على تحديد تاريخها وتعيين أشكالها ، وبيان أنواعها ، وتزودنا بمعلومات عن عناصرها وأجزائها . فهناك الأطواق المؤلفة من قطعتين كانت تزين عنق الحسناء . والأطواق المؤلفة من كرات ذهبية بسيطة أو من كرات يغطي سطحها حبيبات صغيرة جـداً ، والأطواق المؤلفة من السلاسل المعقدة أو البسيطة ، أضف إلى ذلك الأطواق المولفة من زهرات ذهبية ، والأطواق المؤلفة من سلسـال ذهبي بسيط ودقيق يضم خرزات من الأحجار الكريمة كالياقوت والعقيق ، والزمرد والفيروز .. الخ

(١) ولا بد أن نشير إلى ان مارية بنت ظالم بن وهب كانت قد (أهدت الكعبة قرطيها وعليهما درتان كبيضتي حمام لم ير الناس مثلها ولم يدروا ما قيمتهما) مما جعلها مضرب المثل القائل : « خذه ولو بقرطي ماريه » . أي لا يفوتنك بأي ثمن يكون . انظر : مجمع الأمثال لأبي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني ج ١ رقم ١٢٤٣ .

وفي المتحف الوطني بدمشق نماذج من هذه الأطواق الجميلة نذكر منها : العقد الذهبي المكتشف في حوران رقمه ٧٠١٢/٧٤٢ مكرر ، له شكل قضيب مفرغ ومنحن ، ويتألف من جزئين ينتهي كل منهما بعروة . وفي قرحتا اكتشف طوق ذهبي يتألف من ثلاث عشرة كرة صغيرة مسجل تحت رقم ١٩٥٨/٤٢٣١ وطوق آخر رقمه ١٩٥٩/٤٢٣٢ يتألف من أربع عشرة كرة ذهبية ، تزين سطوحها حبيبات صغيرة جداً . وهناك اطواق ذهبية مؤلفة من اجزاء صغيرة لها شكل اناء له ثلاث عروات . وفي المتحف الوطني طوق مماثل رقمه ٢٨٤٩/٥٩٢٩ . ويبدو ان الصائغ أخذ يتفنن في ابتكار أجزاء الأطواق والعقود ، فأبدع اطواقاً تتألف من أجزاء لهـا شكل وردة ، ورقم هذا الطوق ٢٩٨٤/٦٦٦٧ ثم انتشرت الأطواق المؤلفة من سلسال يتألف من أسلاك ذهبية صغيرة جعلت بشكل خطوط منكسرة تشكل حلقة وترتبط هذه الحلقات ببعضها لتؤلف السلسال . وفي المتحف الوطني نماذج من هذا الطوق . وهناك أطواق مؤلفة من سلسال ذهبي بسيط يضم خرزات من الأحجار الكريمة . ففي (عين ترما) اكتشف طوق ذهبي مؤلف من سلسـال بسيط يضم خرزات من حجر الفيروز الأخضر وقد سجل تحت رقم ٢٥٨٠/٥١٦٨ وهناك أطواق ذهبية تضم احجاراً كريمة متنوعة كالطوق المسجل تحت رقم ٦١٤٤/١٤١٩٦ يتألف من سلسال ذهبي يضم خرزات من اللؤلؤ والأحجار السيلانية الكريمة .

٣ — الأساور : ان روائع فن النحت تزودنا أيضاً بمعلومات علمية هـامة عن الأساور التي كانت تزين معصم الحسناء وساعدها وعضدها ، وعدد هذه الأساور ، وأشكالها . وربما كانت الأساور البدائية تتصف بالخشونة ، ثم أخذ الصائغ يتفنن في اعطائها الشكل الجميل ، فجعلها اما بشكل حلقة أو سلك ذهبي متصل الطرفين ، ثم جعل طرفه أو طرفيه أو كله مبسطاً رقيقاً ، وبدا له ابتكار الأساور المؤلفة من عدة أسلاك مضفورة أو مجدولة ، وتبنى شكل (الأفعى) في مصنوعاته الذهبية . أضف الى ذلك الأساور المفرغة أو المجوفة . وفي المتحف الوطني بدمشق نماذج من هذه الأساور . ففي الزوية عثر على أساور ذهبية بسيطة سجلت تحت رقم ٣٢٧٥/٧٠٥٧ و ٣٢٧٦/٧٠٥٨ كما عثر في تل أبي صابون قرب حمص على سوار مماثل مسجل تحت رقم ٤٥٥٢/١٠٣٨١ واكتشف في خسفين سوار ذهبي مؤلف من سلك مبسط سجل تحت رقم ٤٤٠٦/١٠٢١٤ ويبدو ان الأساور الذهبية ذات اشكال الافاعي Serpentiforme قد انتشرت في سورية في العصر الهلنستي والروماني وقد تبنى الصائغ شكل الأفعى وجعل طرفي السوار ينتهيان برأس افعى ، وفي بعض الأحيان رغب في جعل

طرف السوار ينتهي برأس افعى ، ويقابل الطرف الآخر الذي له شكل ذيلها . وفي المتحف الوطني سوار مماثل اكتشف في حوران وقد جعل الصائغ طرف السوار يمثل فم افعى مفتوحاً لغاية جمالية ، أو تعبيراً عن فكرة الحياة ، كما جعل مكان العينين مجوفاً ليرصعه بحجر كريم يعطي مظهر السوار جمالاً . ومن أهم الأساور الذهبية المماثلة المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق سوار اكتشف في الغزلانية رقمه ٢٨٥٥/٥٩٣٨ يتميز بأن لكل من طرفيه شكل رأس ثعبان . وسوار رقمه ٤٠٧٦/٨٩٢٢ وسوار رقمه ٤٤٠٧/١٠٢١٥ اكتشف في خسفين وسوار ذهبي مجدول رقمه ٤٨٧٣/١٠٧٧٣ عثر عليه في منطقة درعا . وسوار ذهبي رقمه ٧٩٩٦/٣٠٦٩ له خرزتان وينتهي برأس افعى ، وأساور مماثلة أرقامها : (٧٩٩٦ و ١٢١٥٤ و ١٣١٣٣ و ١٣١٣٤ و ١٣٢٢٥ و ١٣٢٢٦ و ١٣٤١٩) .

وأخذ الصائغ يستخدم الأحجار الكريمة في ترصيع الأساور الذهبية ويهذب أطراف السوار لاعطائه شكلاً جميلاً . وخير نموذج لهذا النوع من الأساور نذكر السوار الذهبي المكتشف في تل أبي صابون والمؤلف من أربع قطع لكل منها شكل شبه شارة استفهام ومرصعة بحجر فيروز . أضف الى ذلك السوار الذهبي المسجل تحت رقم ١٣٢٢٤ الذي يتألف من شريط عريض ودقيق يتصل بأحد طرفيه قرص بيضوي يزينه حجر ثمين يعرف بـ (عين الهر) . وقـد تفنن الصائغ في القرن السادس والسابع الميلاديين فأبدع أساور ذهبية دقيقة تزينها كرات ذهبية مفرغة ومخرمة وفي المتحف الوطني بدمشق سوار مماثل رقمه ١٤٤١٢ تزينه كرتان مخرمتان ومفرغتان ، وخرزتان زجاجيتان لونهما أبيض .

واذا كانت أساور بعض المتاحف عليهـا بعض الحروف التي تشير الى اسم الصائغ مثل (زويلاس Zwilace) [١] ، فان مما يؤسف له اننا لم نعثر في سورية ـ حتى الآن ـ على حلية ما تحمل اسم الصائغ الذي تدل مصنوعاته الذهبية على دقة ملاحظة ، اذ انه حزز سطح الاساور بخطوط توحي بحرشف Ecailles الافعى أو جلد ثعبان . كما جعل في الجهة المقابلة من السوار خطوطاً بمثابة حلقات لجسم الأفعى ، وترك ما فوق الرأس أملس . وربما كانت أهمية الأساور الثعبانيـة الشكل تعود الى الاعتقاد بمفعولها السحري ، كما كان يعتقد بان حبات عقد السوار تزينها صورة ربة السعادة من شأنها أن تجلب الحظ لمن يتحلى بها ، وان الكرات من شأنها ابعاد كل تأثير سيء عن كل من يتجمل بها .

---

(١) وهناك حلي تنسب الى صائغين آخرين أمثال : Myrmécides, Lacédémonien Callicrates

ولابد أن أشير أخيراً الى الخلاخل الذهبية المكتشفة في (خسفين) والمسجلة تحت رقم ٤٣٦٧/١٠١٧٥ و ٤٤٨٦/١٠٢٩٥ و ٤٤٨٧/١٠٢٩٦ تتميز ببساطتها . في حين ان الخلخال الذهبي المكتشف في (قرحتا) والمسجل تحت رقم ١٩٥٧/٤٢٣٠ يتألف من أسلاك مجدولة .

٤ — الخواتم الذهبية : لم يكن التزين بالخواتم الذهبية لأسباب جمالية فحسب ، بل كامتياز خاص للملك وفئة معينة من المواطنين وذلك بسبب عراقة نسبهم [١] ففي عهد الجمهورية كان هذا الامتياز يمنح للنواب الذين اختارهم مجلس الشيوخ فأوفدهم بمهمة إلى بلد أجنبي لما يتم عن أهمية وظيفتهم [٢] . وكانت هذه الخواتم تقدم لهؤلاء من قبل الشعب أو بتعبير آخر من أموال الخزانة العامة . ولكن الذين فازوا بشرف الحصول على هذا الخاتم كان لهم الحق في التختم به في الحياة العامة بعد انتهاء مهمتهم ، أما في حياتهم الخاصة فكان عليهم أن يتختموا بخاتم حديدي اسوة بغيرهم . ثم أخذوا يسيئون استعمال هذا الحق بدافع من ميل الإنسان الى الظهور ، وحبه للزهو [٣] . وكان الخاتم الذهبي — في رأي بليني Pline — بمثابة امتياز لكل الشيوخ ، وكان من حق القواد أن يمنحوا الخاتم الذهبي لفارس من فرسانهم ، تقديراً منهم على خدماته العسكرية الهامة . كما كان لهم الحق في منح الخاتم لكتاب رافقوهم في حملة حربية . وفي عهد الامبراطورية كان من حق كل فارس أن يملك خاتماً ذهبياً . وكان حجر الخاتم يختلف باختلاف الاشخاص وامكانياتهم وأهوائهم . ولكن الخاتم الذهبي إذا كان من شأنه أن يزيد من شرف صاحب الامتياز بحمله ، فانه كان لا يغير كلياً من شروطه العامة . وفي عام ٥٣٩ أصبح التختم بالخاتم الذهبي حقاً من حقوق الرجال الأحرار الذين كانوا فيما مضى يتختمون بخاتم فضي . أما العبيد فكان لهم أن يتختموا فقط بخاتم حديدي رخيص الثمن .

وأخذ الصائغ يتفنن في أشكال الخواتم ، فبعد ما كانت بسيطة لها شكل حلقة عادية ، ظهرت المحابس المبسطة ، وخواتم أختام ، والخواتم المزدوجة ، والحلزونية والمضفورة ، والمنتهية بشكل رأس ثعبان ، والمزينة على سطحها بتمثال نصفي للامبراطور ، أضف إلى ذلك الخواتم التي يعلوها قرص أو كتابة أو نقش . ولا سيما الخواتم الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة . فأخذ الصائغ يهتم بنقش

---

(١) Saglio : Dictionnaire Des Antiquitél T. 1 P. 296 .

(٢) » » » P. 296 .

هذه الفصوص لترصيع الخواتم بها مما يجعل قيمتها تتناسب مع أهمية الصور المنقوشة وندرة الأحجار الكريمة [١] . ويعتقد بان سيبيون .Scipion [٢] الأفريقي هو أول من تختم بخاتم مرصع باليشب Sardoine . ويكفي لبيان أهمية الأحجار الكريمة أن نذكر قصة منع انطوان لأحد الشيوخ من التختم بخاتم مرصع بحجر كريم من نوع (عين الهر Opale) ، فكان ذلك سبباً حمله على الهرب .

وكان الخاتم يوضع في اصبع البنصر [٣] ثم صار يوضع في اصبع السبابة . وأخيراً في اصبع الخنصر . وكان الخاتم يوضع في البنصر ليسهل بذلك ختم الرسائل والصكوك العامة والخاصة [٤] . وكانت الخرافات السائدة تمنع التختم بخاتم ما في الاصبع الوسطى .

وفي فترات البذخ انتشرت عادة التختم بأكثر من خاتم واحد كشارة ترف ، ودليل غنى ، ومظهر بذخ . وربما كانت هـذه العادة قد انتقلت من الشرق ، وانتشرت في ديار الغرب ، حتى أصبح في عهد هوراس من مظاهر الأناقة أن يتختم المرء في اصابع يده اليسرى بثلاثة خواتم ، ثم انتشرت عادة التختم في كل [٥] اصابع اليدين. بل كانت أحياناً توضع في الاصبع الواحد أكثر من خاتم واحد . وبلغ الترف في عهد الامبراطورية درجة جعلت البعض يتختمون بخواتم ذات وزن لا بأس به .

وقد اشتهرت حسان تدمر ونساؤها بحب الحلي والميل الى التجمل بها ، وتدل روائع فن النحت التدمري على مدى اهتمام التدمريات بتزيين أناملهن بخواتم عديدة ، مختلفة الاشكال ،جميلة المنظر، تنم عن ذوق رفيع ، وترف اجتماعي ، وغنى مادي . وفي المتحف الوطني مجموعة هامة من الخواتم الذهبية نذكر منها الخاتم الفنيقي المغطى بالذهب والمسجل تحت رقم $\frac{٦٩٥١}{٦٩٥}$ ، والخاتم الذهبي البسيط المسجل تحت رقم $\frac{٧٦٦٨}{٢٣٩٥}$ له شكل محبس ، والخاتم الذهبي الذي لهشكل محبس ،ويعلوه قرص مستدير مسجل تحت رقم ٩٦٤٢ والخاتم الذهبي الذي ينتهي بشكل رأس ثعبان رقمه ٧٠٢٠ و ٨٨٣٩ و ١٢٥٩٢ و ١٤٤٦٨ .

---

(1) Saglio : Dictionnaire des Antiquités 292 .
(2) » » 292 .
(3) » » » 1 292 .
» » » 1 292 .

(٤) وقد ذكر ابو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني في الجزء الثاني من (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) (مطبعة العامرة الشرقيـــة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ صفحة ١٦٠) مايلي : (كان خاتمه صلى الله عليه وسلم حلقة فضة وعليه فص عقيق . وكان يتختم به في يمينه وسبب اتخاذه انه كتب الى ملك الروم فقيل له انه لا يقبل كتاباً الا مختوما ، فاتخذه حينئذ ، وعنه صلى الله عليه وسلم لا يلبس الخاتم الا أمير أو ذو مال ؛ وأول من تختم في يساره معاوية رضي الله عنه) .

(5) Emile - Bayard : L'art de Reconuaitre les Bijoux Anciens 1924 P, 57

أضف الى ذلك الخواتم الذهبية المرصعة بالاحجار الكريمة كالخاتم الذهبي المكتشف في (عين ترما) والمرصع بحجر فيروز رقمه ٢٥٨١/٥١٦٧ والخاتم المكتشف في بلدة (العال) مرصع بفص من نوع عين الهر رقمه ٢٦٥٥/٥٣٢١ والخاتم الذهبي المكتشف في قرية الغزلانية مرصع بفص عقيق نقش عليه مشهد الربة (مينرفا) سجل تحت رقم ٢٧٦٥/٥٥١٤ وفي تل أبي صابون اكتشف خاتم ذهبي مرصع بفص عقيق نقش عليه مشهد (ابولون) سجل تحت رقم ٣٢٨٨/٧٠٨٥ وفي خسفين عثر على خاتم ذهبي له لؤلؤة رقمه ٤٤٧٩/١٠٢٨٨ وفي صالحية الفرات اكتشف خاتم ذهبي له فص أسود رقمه ٤٩٢٨/١٠٩٠٦ أضف الى ذلك الخواتم الذهبية المزدوجة كالخاتم الذهبي المزدوج المسجل تحت رقم ٧٦٦٩/٢٣٩٢ والخواتم المرصعة بأكثر من حجر كريم واحد ، والخواتم المجدولة كالخاتم الذهبي المؤلف من سلكين ذهبيين متقاطعين يؤلفان دوائر تسبغ على المنظر العام للخاتم جمالاً وقد سجل تحت رقم ١٢٨٠ والخواتم التي نقش على سطحها مشهد نخلة أو غصن نباتي كالخاتم الذهبي ذي الرقم ١٣٨٦٧ و ١٤٦٤٢ .

٥ — **الوريقات الذهبية الجنائزية** : اعتاد القدماء على تزويد الموتى بالوريقات الذهبية منذ عهود السومريين والميسنيين والفراعنة . وقد تساءل العلماء المختصون عن أقسام الجسم التي كانت تغطى بهذه الوريقات . فقد عثر على بعض الوريقات ذات أشكال جعلت البعض يعتقد بأنها كانت توضع على الجبين كعصبة ، أو على الصدر أو على الفم أو على العينين ، وان من شأن هذه الوريقات أن تقوم مقام قناع كامل ، وتحمي الجسم من الفساد . وقد عثر على عصبات ووريقات ذهبية جنازية في أماكن مختلفة من سورية (كتل خويرة [١] في شمال سورية ، ولا سيا تل أبي صابون قرب حمص) . وإذا كان بعض هذه الوريقات الذهبية الجنازية بشكل عصبات مجردة من أي عمل فني ، فإن معظمها مزين بأشكال أغصان نباتية ، أضف إلى ذلك صورة ربة النصر LA victoire التي تبدو مجنحة ، تمسك باحدى يديها اكليلاً ، بالأخرى سعفة نخيل . وصورة ديونيزوس ، ولا سيا صورة الجرجون ميدوز LA Gorgone Méduse التي كان لعينيها قوة قادرة على تحويل من يراها إلى حجر [٢] ، والتي بعد موتها سكنت شقيقتاها الجرجون ستينو Sthéno واوريالي Euryalé قرب أبواب جهنم . وكان يعتقد أن هذه الصور ذات قدرة على حماية

(١) يقع تل خويرة في منتصف الطريق بين رأس العين وتل أبيض على مسافة نحو ٦٤ ك . م من كل منهما و ١٢ ك . م من الحدود السورية التركية .

(٢) Commelin : Mythologie Grecque et Romaine (Edit. Garnier) 1956 P. 148

الأشخاص من الرقى المؤذية ، أضف إلى ذلك أيضاً الوريقات الذهبية المزينة بصورة جانبية لأسد يلتفت إلى جهة المشاهد .

وقد لفتت الأنظار الثقوب في بعض أطراف الوريقات الذهبية ، مما جعل البعض يعتقد بان هذه الثقوب دليل على استخدام الوريقات ، وتثبيتها على الملابس أو الجلود .

وفي المتحف الوطني بدمشق مجموعة من هـــذه الوريقات الذهبية الجنارية ، فهناك العصبات الذهبية المجردة من الزخارف كالعصبة الذهبية ذات الرقم ٤٨٩١/١٠٧٩٩ و ٨٠٤٢/٣١٧٦ و ٦٠٤٧/١٣٨٩١ والعصبات المزينة بأغصان وعناقيد سجلت تحت رقم ٩٦٤٦ و ٩٦٤٧ و ٩٦٥٠ و ٦٣١٤/١٤٨٩٨ و ٣٤٥١/٧٣٢٧ والوريقات المزينة بشكل سعفة نخيل كالوريقة المسجلة تحت رقم ٣٣٦٢/٧٢١٩ والوريقات المستديرة المزينة بصورة أمامية لوجه الجرجون ميدوز كالوريقـــة المسجلة تحت رقم ٣١٦٧/٦٩١٣ و ٣٢٨٩/٧٠٨٦ و ٣٣٥٠/٣٣٥٩ المكتشفة في تل أبي صابون . والوريقـات الذهبية البيضوية الشكل المسجلة تحت رقم ١٤٤٤٦ و ١٤٤٤٧ والوريقات الذهبية المثلثة والمعينية الشكل ، يزين أطرافها خط نافر ، أضف إلى ذلك الوريقات الذهبية الصغيرة التي تشبه الأوراق النباتية المسجلة تحت رقم (١٤٤٥١ – ١٤٤٦٠) والوريقات الذهبية المزينة بصورة جانبية لأسد يتجه إلى جهة المشاهد والمسجلة تحت رقم (٣٥٧٠ – ٣٥٧٣) وهناك وريقات ذهبية صغيرة لها شكل عين انسان (رقمها ٥٤٣٩/١٢٠١٥) أو شكل عينين (رقمها ١٣٦٣٤) أو مشهد زهرة (رقمها ١٤٣٠٠) أو مشهد كف يد يمنى (رقمها ١٠٤٧٨) أو كف يد يسرى (رقمها ١٠٤٧٩) أو مشهد بارز لربة النصر تبدو مجنحة (رقمها ١٠٤٧٦ و ١٠٤٧٧) أضف إلى ذلك ثلاث وريقات ذهبية معينية الشكل مزينة بصورة بارزة نصفية أمـامية لربة . وقد سجلت هـــذه الوريقات تحت رقم ٥٩٣٨/١٣٦٧٢ ووريقة ذهبية صغيرة مستديرة الشكل كانت تغلف نقداً سجلت تحت رقم ٨٢٠١/٣٥٤٢ وهذا مايذكرنا بعادة وضع نقد الاوبول Obole في فم المتوفى ليدفعه إلى شارون Charon اجرة نقله . ولكن الوريقات الذهبية لم تكن لغـــاية جنازية فحسب بل كانت تستخـــدم لغايات

تزيينية أيضاً كتغطية أزرار الملابس ، وخرزات سوار من الابنوس ... الخ . وفي المتحف الوطني بدمشق وريقات ذهبية لهـا شكل أغطية أزرار يزين سطحهـا مشهد جانبي نصفي لامبراطور (؟) رقمها (٩٩٧٢) ، ووريقة ذهبية هلالية الشكل محزمة تمثل مشهد ملاكين متناظرين مجنحين ينظران إلى جهة المشاهد تتوسطهـما زهرة كبيرة يعلوها تاج كبير (وقد سجلت تحت رقم ١٢٤٢٥) أضف إلى ذلك قرصين ذهبيين تعلو كلاً منهما عـروة ويزين سطحه دائرة يتوسطها مشهد رأس ثور (رقمها ١٢٤٢٩ – ١٢٤٣٠) .

الحلي الذهبية المختلفة في المتحف الوطني بدمشق :

وفي المتحف الوطني بدمشق حلي ذهبية أخرى مختلفة أهمها حلية رقمها ٦٠٦٧/١٤٥٦٨ لها شكل بيضوي يحيط بها اطار تمثل مشهد أسد ينقض على فريسته . وحلية (رقمهـا ١٢٠٧٨) لها شكل اناء ذهبي صغير مخرم ، وتمثال ذهبي صغير ارتفاعه ٢,٥ سم رقمه ٢٩٨٧/٦٦٧١ يمثل ربة السعادة تيكه تبدو واقفة تحمل بيسراها قرن الخصب . أضف الى ذلك المشابك الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة ، والصلبان الذهبية المزينة باللؤلؤ (١) .

لمحة عن الطرق الفنية في صياغة الحلي الذهبية :

لئن اشتهر الكريتيون القدماء بفن الصياغة ، ودلت أواني (فافيو Vaphio) الذهبية على تقدمهم الفني ، ولئن ورث الميسينيون تقاليد هذه الصناعة الفنية وأبدعوا في ميدان هذا الفن الصناعي ، فقد بقي الذهب نادراً في بلاد الاغريق ، وظلت ثروات الشرق وكنوزه تثير خيال الاغريقي (٢) كما كانت روائع الفن الشرقية في مختلف الميادين بمثابة العجائب في العالم القديم .

(١) وغيرهما من الحلي الذهبية الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها .
(٢) Saglio : dictionnaire des Antiquites T. I P. 574

الرقيقة بواسطة الطرق المستمر . وكان يرى في خصائص الذهب وقابليته للطرق والسحب خير مساعد له على تقديم العناصر الذهبية الصغيرة اللازمة لابداع مصنوعاته الذهبية بواسطة طرقه المهنية البدائية التي أهمها مايلي :

١ ـ اسلوب طرق الأوراق الذهبية بمطرقة ما للحصول على المشاهد المطلوبة على السطح المقابل ، ثم القيام بتسويتها بشكل يرضي ذوقه الفني ، وينسجم مع الجمال الذي تخيله وعزم على تخليده . وقد مارس هذا الاسلوب الكريتيون والفراعنة والميسينيون والفينيقيون وغيرهم .

٢ ـ طرق الأوراق أو الصفائح الذهبية على مسند مجوف من شأنه أن يعطي الوريقة أو الصفيحة المطروقة شكل قبة أو نصف قرص أو ... الخ . ولا شك بأن الصائغ القديم كان يهتم بالطرق على المسند المحدب أو المقعر بالحجم الذي يلائم مايرغب ابداعه من حيث الحجم والشكل . أما في عصرنا الحاضر فإن الصائغ المعاصر يستخدم هذه الطريقة ، فيطرق الأقراص الذهبية على كتلة معدنية لها شكل مستطيل وعلى سطحها سلسلة من التجاويف المحدبة المختلفة الحجوم .

٣ ـ طريقة كسر الجفت : بعد ما نجح الصائغ في الحصول على الأسلاك الذهبية اللازمة ، أخذ يجمع أجزاءها (بملقط جفت) له طرف رفيع يساعده على وضع هذه الأجزاء في الأماكن المخصصة لها وذلك بعد ثنيها وجعلها بالشكل المطلوب . وبتعريض هذه الأجزاء ـ المتصلة ـ على الحرارة تصبح هذه الأجزاء كتلة واحدة .

٤ ـ طريقة النفخ للحصول على الكرات الذهبية الدقيقة وذكر الأستاذ Blanchot أن ذلك كان يجري بتعريض الخيط الذهبي للنار فوق غبار الفحم حتى تتساقط منه قطرات فتتجزأ فوراً

---

(١) ويسرني ان أشكر السادة ايليا مصابني وجميل باشوره والسيد جورج معتوق لتفضلهم بتزويدي بهذه المعلومات المهنية .

إلى أجزاء صغيرة ثم تجمع بعناية . وتصنف بحسب حجومها (١) ، لوضعها في الأماكن المخصصة لها . مما تقدم تبدو بساطة الأدوات القديمة التي كان يستخدمها الصائغ القديم . وبدائية الطرق الفنية التي كان يمارسها في إبداعه مصنوعاته الذهبية ، ولكن علينا أن لاننسى خبرته المهنية ، ودقته في العمل ، وذوقه الفني ، وصبره الطويل .

مصادر الذهب في العصور القديمة :

ما زال موضوع بلاد الذهب ومصادره في العصور القديمة يلفت انتباه الباحثين ، وينال قسطاً كبيراً من اهتمام المختصين . فاليمانيون – حسب رأي جرجي زيدان (٢) – كانوا ينقلون الذهب والاحجار الكريمة من بلاد الهند ، كما كانوا ينقلون الذهب والعاج من شواطىء إفريقيا الشرقية ، ومن المؤرخين – أمثال الدكتور فيليب حتي (٣) – من يعتقد بوجود الذهب والفضة في بلاد الأنباط . ويعتقد الأستاذ جورج عطية (٤) بأن الاغريق كانوا يستوردون الذهب من البلاد الفينيقية . وأن الفينيقيين هم أول من نجم الذهب في جزيرة تازوس واعتبر الاغريق مدينين بمعرفتهم للذهب واسمه للفينيقيين (٥) ، واعتبر الأستاذ Roger - Milès أرض الحثيين غنية بالمعادن الثمينة التى كانوا يبيعونها للفينيقيين مقابل الحلي المصنوعة وذهب الأستاذ أنور شكري (٦) الى القول بأن المصريين القدماء قد حصلوا على الذهب من الصحراء الشرقية ونواحي قفط وبلاد النوبة وقد كانت لهم مناجم في وادي العلاقي في الجنوب الشرقي من بلاد النوبة السفلى وذكر ابن حوقل عن اكتشاف الذهب في خشباجى في بلاد سجستان وحدثني الصائغ السوري السيد جورج معتوق قصة مواطن سوري حمل الى الصائغين كتلة حجرية تحتوي على كميات قليلة من الذهب وقد تبين ان نفقات استخراجه لا تعادل الكميات المستخرجة .

---

(١) (1) I. - L. Blanchot : Les Bijoux Anciens Edit pittoresques paris 1929 P. 96

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام .

(٣) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق) دار الثقافة بيروت ص ٣٠٥ .

(٤) – (٥) جورج عطية : حضارتنا منشورات دار النهر للجامعيين بيروت ١٩٥٦ ص ١٠٨ و ١٠٩ .

(٦) حضارة مصر والشرق القديم : تأليف الدكاترة ابراهيم رزقانة ، محمد أنور شكري ، عبد المنعم أبو بكر ، حسن أحمد محمود ، عبد المنعم محمد حسين (ص ١٢٧) .

والخلاصة :

مما تقدم يبدو أن اكتشاف الذهب واستخدامه رافق الإنسان منذ ظهور أقدم الحضارات [١] . وإذا كان التاريخ يزودنا بمعرفة الماضي الإنساني ، فإن علم الآثار ما زال يزيدنا علماً بذلك الماضي الحضاري الذي اسهم في تشييد صرحه أجيال قديمة متعاقبة وعديدة تركت روائعها الفنية للأجيال الصاعدة لا لتتغنى وتتمتع بها فحسب بل لتبعث فيها الهمم للعمل والإبداع باستمرار ، والتجديد والابتكار على الدوام ، لتبدع كما ابدع القدماء ، وتترك روائعها الفنية خير هدية تقدمها للأجيال الصاعدة . وأكبر مساهمة منها في استمرار اقامة الصرح الحضاري الإنساني لتقيم في فردوس الخالدين .

وان الحلي الذهبية القديمة المكتشفة في مختلف بقـاع بلادنا تدل على أن تقاليد فن الصياغة أصيلة فيها ، طورتها الأجيال ، وتوارثها الاحفاد عن الآباء ، والآباء عن الأجداد ، فأضافوا إليها ما ابتكرته أذواقهم الفنية ، واكتشفته محاولاتهم العديـدة ، ووصلوا الى تحقيقه بفضل خبرتهم المهنية .أضف الى ذلك ماللحلي الذهبية من اهمية كبيرة لصلتها بحياتنا الاقتصادية ، وتقاليدنا الاجتماعية ، وأعرافنا المحليـة ، وأذواقنا الفنية . وقد ورد ذكرها في عدد من آيات القرآن الكريم [٢] ، كما أن الشعراء العرب اعتبروها مادة جميلة جديرة بالوصف والتشابيه بها ، فتركوا لنا روائع أدبية فيها الجمال اللفظي وسحر التشبيه [٣] .

---

(١) Henri Clouzot : Les Arts du Metal . paris, Librairie Renouard 1934 . p. 7
Saglio : dictionnaire des Antiquités. T 1. P. 574

(٢) نذكر منها الآيات الكريمة في السور الآتية : (سورة الكهف ـ ٣٠ يحلون فيها من أساور من ذهب) (سورة الرعد ـ ١٦ : ابتغاء حلية أو متاع) (سورة النحل ـ ١٤ وتستخرجوا منه حلية) (سورة الزخرف ١٨ ـ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) والآية ٥٢ : فلولا القي عليه اسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) (سورة الحج ـ ٢٣ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير . (سورة فاطر ٣٣ : جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير .

(٣) نذكر على سبيل المثال قول الشاعر :

ذبت من الشوق فلو زج بي في مقلة النائم لم ينتبه
وكان لي فيما مضى (خاتم) فالآن لو شئت تمنطقت بـه

والتجاء الشاعر في وصف عنق حسناء بطول قرطها بقوله :

بعيـدة مهوى القرط اما لنوفل أبوها واما عبد شمس بن هاشم

وقد ذهبت بعض العبارات المتعلقة بالحلي مذهب المثل السائر مما زاد في عدد الأمثال العربية (١) .

وأن روائع الحلي الذهبية التي يزهو بها المتحف الوطني بدمشق يتميز بعضها بطابع محلي أصيل ومستوى فني رفيع ، مما يؤكد من جديد أن سورية كانت — منذ ظهور الانسان فيها — موطن حضارات ومدنيات ، وارض فكر وعلم ، وبلد أدب وفن .

دمشق : بشير زهدي

---

(١) كما ان الحلي كانت موضوعاً لعدد من الأمثال العربية نذكر منها :

— بخ بخ ساقٌ بخلخال .

— أبهى من قرطين بينهما وجهٌ حسنٌ .

— أحسن من شَنفِ الأنضر (أي قرط الذهب) .

— خذه ولو بقرطي مارية (أي لا يفوتنك بأي ثمن كان) .

انظر كتاب (مجمع الأمثال) لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني .